

قصّة جين إير

Jane Eyre

للكاتبة شارلوت برونتي

ترجمة : أمل عمر بسيم الرفاعي



نشر إلكترونيا في صفر ، ١٤٣٥/ ديسمبر ، ٢٠١٣.

تصميم الغلاف و الإخراج الفني: هالة الغامدي

محتــويات الكتــاب

المقدّمة

تعتبر الكاتبة شارلوت برونتي من أشهر كاتبات القصص والروايات والقصائد الشعرية في عصرها ، وهي تنتمي إلى أسرة أدبية كان جميع أفرادها من المتميزين في مجال الآداب. ،حيث كانت كل من شقيقاتها آن ،إميلي ،ماريا وإيليزابيت وكذلك شقيقها باتريك برونتي من أشهر كتاب الروايات والقصائد الشعرية .

يتميز أسلوب شارلوت برونتي بحرصها على إيراد الكثير من التفاصيل الصغيرة التي تُحيط بأبطال رواياتها ، وعلى الوصف الدقيق لأحاسيسهم ما يجعل القارئ ينتقل بمخيلته إلى مكان الأحداث ويتعاطف بشكل كبير مع أبطالها .

يسرني أن أقدم للقراء ترجمة مختصرة لإحدى أشهر مؤلفاتها وهي قصة جين إير. سوف يتبيّن للقارئ من لدى الاطلاع على سيرة الكاتبة الذاتية المدرجة في نهاية النصوص بأن الكاتبة كانت قد استنبطت الكثير مما ورد فيها من تجربتها الشخصية خلال الفترة التي عملت فيها مربية لدى عدد من العائلات الانكليزية

تم إعداد هذه النسخة المختصرة باللغة الانكليزية من قبل دار نشر جامعة أكسفورد في لندن - المملكة المتحدة.

OXFORD UNIVERSITY PRESS IN LONDON

أمل الرفاعي

قصّة جين إير

Jane Eyre

للكاتبة شارلوت برونتي

الفصل الأول

والديّ

كان والدي كاهناً فقير الحال تزوجته والدتي خلافاً لرغبة العائلة مما أثار كثيراً نقمة وغضب جدّي السيد ريد وما جعله يحرمها من الميراث...لكن والدي توفي بعد مرور عام واحد على زواجه من والدتي نتيجة إصابته بالحمى، ثم توفيت والدتي أيضاً بعد مرور شهر واحد على وفاته لشدة حزنها على فقدانه ...
وبما أنني كنت بذلك قد فقدت بذلك الأب والأم معاً فقد اصطحبني خالي ريد لكي أعيش في منزله الكائن في منطقة غيتسهيد . كان خالي قد رغب بالطبع بأن أعيش في كنفه وبأن تتم تنشئتي ورعايتي أسوة بأولاده ، إليزا . جورجينا وجون. لكنه كان مع كل أسف قد توفي أيضاً بعد سنتين مما جعلني أصبح شخصاً غير مرغوب به من زوجته وكذلك من باقي أفراد عائلته.

ابن خالي جون

كان جون ابن خالي يكبرني بأربع سنوات ، وكان من المفترض، بما أنه قد بلغ سن الرابعة عشر ، أن يلتحق بإحدى المدارس خارج منطقة غيتسهيد ،لكن والدته كانت في كثير من الأحيان تستبقيه في المنزل بحجة ضعفه وسوء حالته الصحيّة، وإن كنت أعتقد بأن وضعه الصحي كان سيصبح أفضل بكثير لو لم تكن تُطعمه ذلك القدر الكبير من الحلويات و الكعكات وبغير ذلك من المأكولات ذات السُعرات الحرارية المرتفعة .، ومع ذلك لم يكن جون يحب والدته كثيراً .
كنت ضئيلة الحجم ونحيلة جداً بالنسبة لسني ، وكان جون ابن خالي يكرهني إلى حدّ كبير. كان يعاقبني ليس مرة أو مرتين فقط في الأسبوع، وإنما كان يفعل ذلك بشكل دائم.، لكن والدته لم تكن مع ذلك تلتفت إلى ما يفعله بي كما لم تكن تهتم عندما كان يعاقبني دون أي مُبرّر ،رغم أنه كان يفعل ذلك أمامها.
كنت ذات يوم، قد جلست خلف إحدى النوافذ واختبأت خلف الستارة لكي لا يراني أحدهم، بحيث يكون بإمكاني الاستمتاع بهدوء بالنظر إلى بعض الصور الملونة في أحد الكتب التي كنت قد حصلت عليه من المكتبة . كنت في تلك اللحظة سعيدة بالفعل ، وكان ما أخشاه فقط هو أن يعثر علي جون. لكن جون كان بعد ذلك قد عثر علي بالفعل. كان قد فتح باب الغرفة وناداني وبما أنني لم أجبه صاح بغضب:
" أين جين؟ أين هي ؟ ليزا !...جورجي! ... يبدو أن جين ليست هنا."
وكانت ليزا قد أطلت برأسها إلى الغرفة وقالت على الفور:
" إنها هنا جون ... جين مختبئة هنا خلف ستارة النافذة."

وبذلك كان علي أن أخرج من مكاني على الفور ، فلم أكن أرغب أن يُخرجني جون بنفسه بأن يقوم بسحبني من شعري كما كان يفعل دوماً . سألته:

" ما الذي تريده جون؟ "

قال لي " لا تُخاطبيني بهذه الطريقة ! عليك أن تقولي ما الذي تريده مني سيدي جون."

ثم جلس على أحد المقاعد وقال :

" أريدك أن تقتربي على الفور."

كنت اقتربت من المقعد الذي يجلس عليه رغم أنني كنت أعلم بأنه سيضربني، وكانت تلك الصفعة قد جاءت بالفعل على الفور وبكل عنف مما جعلني أكاد أسقط على الأرض.

ثم قال لي من جديد " هذا لأنك حاولت الاختباء مني. ما الذي كنت تفعلينه وراء الستارة؟؟"

" كنت أقرأ "

"دعيني أرى الكتاب الذي تُطالعينه "

وعندما جلبت له الكتاب بصمت قال لي:

" ألا تعلمين بأنه لايحق لك استخدام كتبنا . كما أنك لا تمتلكين المال ومن المفترض ألا تكوني هنا مع من هم مثلنا من الأولاد النبلاء، كما لايحق لك أن تحصلي على ما نأكله من أطعمة، ولا يحقق لك أن ترتدي ما نرتدي نحن من تلك الملابس التي تشتريها لك والدتي ، كما أن علي أن ألقنك الآن درساً لأنك أخذت أحد كتبي من المكتبة ... اذهبي من أمامي على الفور ولتقفي هناك إلى جانب الباب."

فعلت ما طلبه مني ، لكنني عندما رأيته يرفع الكتاب كي يرميني به قفزت إلى الجانب الآخر من الغرفة ، لكن ذلك كان متأخراً !.. كان ذلك الكتاب قد أصابني مما جعلني أسقط على الأرض ويصطدم رأسي بالباب ويُجرح. كان الألم الذي شعرت به حينذاك شديداً مما جعل خوفي منه يتبدد وأقول :

" ما الذي دهاك ؟ أنت أيها الفتى القاسي المتوحش."

صاح " ماذا ؟ ليزا ، هل سمعت ما قالته ؟"

ثم ركض نحوي وأمسك بشعري وبكتفيّ وبدأ يضربني بشدّة ...

لست أدري ما الذي فعلته به بعد ذلك بيديّ الاثنتين، كنت قد أخذت أصرخ وأصرخ:

" أنت أيها الجرذ...أنت أيها الجرذ..."

كانت المربية بيسي قد دخلت الغرفة في ذلك الوقت مع خادمة أخرى وبذلك قامت بالتفريق بيننا، بينما أخذ الجميع يصرخون "ياللهول!... يا للهول !... كم هي شريرة هذه الفتاة الصغيرة ؟ كيف تجرؤ على التهجم على السيد جون! "

وكانت النتيجة أن تم حبسي،بناء على أوامر السيدة ريد ، في الغرفة الحمراء وهي الغرفة التي كان خالي السيد ريد قد توفي فيها ، والتي لم يكن قد دخلها أحد على الإطلاق منذ ذلك الحين...

كنت قد شعرت بخوف شديد في ذلك الظلام الدامس الذي كان يلفني من كل جانب ، صرخت وبكيت وبكيت، إلى أن كنت، عندما فُتح الباب من جديد ، قد فقدت وعي تماماً.

السيد بروكلهورست

كانت السيدة *ريد*، بعد تلك الحادثة، قد قررت إرسالي إلى إحدى المدارس. بعد مرور يومين على تلك الحادثة كانت المربية بيسي قد أتت إلي راكضة وقالت:

" آنسة جين ، هل غسلت يديك ووجهك هذا الصباح؟ " لم يكن هناك حاجة لأن أجيبها لأنها كانت تبدو على عجلة كبيرة من أمرها ،بحيث لم يكن بإمكانها حتى أن تسمع إجابتي.، وكانت بعد أن قد قامت بنفسها بغسل وجهي ويدي قد أعلمتني بأن هناك من يرغب برؤيتي في غرفة الجلوس .

توجهت ببطء إلى الطابق السفلي ، وكان ما أشعر به من خوف قد جعلني أبدو طفلة بائسة جداً. تساءلت وأنا أفتح باب الغرفة وأرتجف:

" تُرى من هو الشخص الذي قد يرغب برؤيتي ؟"

كنت عندما دخلت الغرفة قد وجدت السيدة *ريد* جالسة في مقعدها المعتاد ،يقف إلى جانبها رجل طويل القامة. استدار ذلك الرجل ونظر إلي ، وقالت السيدة *ريد*:

" ها هي الفتاة التي كتبت إليك بشأنها ."

قال الرجل " تبدو صغيرة السن جداً . ما هو سنها؟"

" عشر سنوات."

وكانت السيدة *ريد* بعد أن أجابت على المزيد من الأسئلة التي وجهها إليها ذلك الرجل المزيد من قد استأنفت حديثها بالقول:

" كنت قد أعلمتك في رسالتي بأن لهذه الفتاة طباع سيئة جداً، لذا عليك ،هذا إن قبلتها في مدرستك، أن تطلب من جميع المدرسين أن يرقبوها بكل حذر فهي فتاة مُخادعة وكاذبة..."

ربما كنت في السابق أكره السيدة *ريد* لسوء معاملتها لي ، لكن ما قالته عني من ذلك الكلام الجارح وأمام ذلك الغريب ،كان قد جرح مشاعري إلى حدّ كبير فقد أدركت بأنها بذلك كانت ترغب بأن تجعلني تعيسة حتى في حياتي الجديدة المقبلة، ومع ذلك لكن لم يكن بإمكاني أن أفعل شيئاً لتغيير ما نسبته إلي.،

ثم كانت قد تابعت حديثها بالقول:

" أريدكم أن تجعلوا منها فتاة مفيدة، وعليها أن تتعلم أسلوب التصرف السويّ ... أعتقد بأنه لن يكون بإمكانها في المستقبل الحصول على أي عمل ... سوف يكون عليها أن تُمضي جميع العطل والإجازات في المدرسة فلست أرغب بعودتها إلى منزلي . سوف أرسلها إليك بأسرع وقت ممكن..

وكانت السيدة *ريد* قد قالت لي بعد ذهاب السيد *بروكلهوست* وعندما بقيت بمفردنا:

"اذهبي الآن إلى غرفة الأولاد وسوف نرى ما الذي سوف يتقرر بشأنك."

توجهت نحو الباب كي أخرج من الغرفة، لكنني كنت قد عدت أدراجي من جديد، لأنني شعرت حينذاك بأن علي أن أتكلم ومهما كان الثمن . كانت مشاعري قد جُرحت إلى حدّ كبير، لذا استجمعت شجاعتي ووقفت أمامها وقلت:

" أنا لست كاذبة ... لو كنت كاذبة لكنت سأقول بأنني أحبك... لذا علي أن أعلمك بأنني أكرهك أكثر من أي شخص آخر في هذا العالم ما عدا ابنك جون الذي أكرهه أكثر منك ... لست أنا من تكذب وإنما هي ابنتك جورجينا التي تكذب دوماً ... لن أعود أبداً لرؤيتك حتى لو طلبت مني ذلك، وأنا سعيدة لأنك لست خالة حقيقية لي وسوف أعلم الجميع كم كنت قاسية معي.."

قالت بحدّة " جين إير ! كيف تجرئين على التحدث إلي بهذه الطريقة ؟"

أجبتها " جرؤت على ذلك لأنها الحقيقة، نعم! هذه هي الحقيقة... الحقيقة !... يعتقد الناس بأنك سيدة طيبة لكنك امرأة سيئة ... ما الذي كان سيقوله لك خالي ريد لو كان على قيد الحياة ؟ لكنه مع الأسف الآن في العالم الآخر ... ومع ذلك يجب أن تعلمي بأن بإمكانه أن يرى كل ما تقومين به وبأنه يعلم كيف تتعاملين معي وأن بإمكانه أن يعلم أيضاً حتى بما تفكرين به."

وكنت عندما تحدثت إليها بتلك الطريقة قد شعرت بإحساس غريب من التحرّر.

بدت عليها علامات الفزع وقالت:

" جين ، ما الذي دهاك؟

أجبتها " لِم قلت لذلك الرجل السيد *بروكلهورست* بأنني كاذبة وبأنني فتاة سيئة."

قالت" جين، عليك أن تُدركي بأن ما قلته لأن من الضروري أن يتم تهذيب طباع الفتيات صغيرات السن مثلك .، والآن عودي إلى غرفة الأولاد."

قلت من جديد " سيدة ريد ، أرجو أن ترسليني إلى تلك المدرسة بأسرع وقت لأنني أكره العيش هنا وأكره ذلك إلى حدّ كبير."

وكنت قد سمعت السيدة ريد تُحدث نفسها وهي تنهض :

"سوف أرسلها إلى تلك المدرسة بالفعل، وفي أقرب وقت."

الفصل الثاني

يومي الأول في المدرسة

كان ذهابي إلى تلك المدرسة في التاسع عشر من شهر كانون الأول (يناير). كانت العربة قد غادرت *غيتسهيد* في السادسة صباحاً .، وكانت المربية بيسي الشخص الوحيد الذي ودّعني وقالت للسائق " اعتن بها جيداً."

وكانت إجابته " نعم ، نعم،بالطبع !" ثم انطلقنا .

لست أذكر الآن الكثير من التفاصيل عن رحلتي تلك .، وما أذكره فقط بأنها كانت رحلة طويلة جداً وبأننا كنا قد مررنا بالكثير من المدن، وبأنني كنت أخر الأمر قد غرقت بالنوم ولم أستيقظ إلى أن توقفت العربة أمام سياج تلك المدرسة. كنت عندما فتح الباب قد سمعت صوتاً يقول:

"أهذه هي الفتاة التي تُدعى *جين إير* ؟"

كانت الإجابة "نعم " ثم تم إنزالي من العربة.

كان الطقس بارداً رطباً . تبعت الشخص الذي استقبلني عبر ممر عريض مظلم إلى مدخل باب واسع ثم إلى غرفة كبيرة كان فيها موقد كبير تشتعل فيه النيران.

بعد دخولي تلك الغرفة كانت قد دخلت إليها سيدة جميلة ثم تبعتها سيدة أخرى تُدعى الآنسة *ميلر* . قالت تلك السيدة:

"أليست صغيرة السن جداً لكي يتم إرسالها عبر تلك المسافة الطويلة بمفردها ؟"

ثم لمست كتفي برفق وسألتني" هل أنت متعبة؟"

أجبتها " نعم ، قليلاً سيدتي"

" أتوقع أن تكوني أيضاً جائعة. ضعيها في سريرها ولكن اعملي على أن تأكل شيئاً قبل ذلك."

وكنت عندما تبعت الآنسة *ميلر* قد وجدت نفسي في غرفة واسعة فيها العديد من الفتيات من جميع الأعمار ـ حوالي الثمانين منهن ـ كنّ جالسات أمام الطاولات لأن ذلك كان موعد انتهاء الدروس.

أعطت الآنسة ميلر الأوامر بتقديم وجبة العشاء التي لم تكن سوى بعض القطع من البسكويت الجاف مع الماء. كنت بعد انتهاء العشاء وتلاوة الصلوات قد تبعت الآنسة ميلر إلى السرير الذي تم تخصيصي به في غرفة واسعة جداً تحتوي على صفوف مُتراصّة من من الأسرّة. أسرعت كل من الفتيات قد إلى سريرها، أما بالنسبة إلي فقد استغرقت بالنوم خلال دقائق في ذلك الصمت والظلام وكنت متعبة للغاية حتى لكي أحلم...

استيقظت في الصباح الباكر على صوت قرع الجرس. كانت الفتيات قد استيقظن وارتدين ملابسهن على الرغم من أن الوقت كان مبكراً جداً بحيث كان الظلام لايزال يلفّ المكان ، وبذلك نهضت أنا أيضاً من سريري رغم ما كنت أشعر من تعب شديد واغتسلت وارتديت ملابسي أسوة بغيري من الفتيات.

كنا بعد ذلك عندما قُرع جرس آخر قد توجهنا إلى الطابق السفلي بصفوف اثنتين اثنتين. بعد دخلونا إلى غرفة التدريس. قامت الآنسة *ميلر* بتلاوة الصلوات الصباحية ثم أعلنت عن بدء الدرس. وبذلك كانت الفتيات خلال دقائق قد جلسن أمام طاولات الدراسة وفتحن الكتب إلى أن قرع جرس آخر دخلت بعده المدرسات وابتدأ الدرس ،. وكنت قد انضممت إلى فئة الفتيات الأصغر سناً.

استمرت حصة التدريس لمدة ساعة . ثم قُرع الجرس من جديد وبذلك خرجنا من غرفة التدريس لكي نتناول طعام الإفطار. كم كنت قد شعرت حينذاك بالبهجة ! كنت جائعة جداً لكن رائحة الطعام المحروق لم تكن تُثير الشهية على الإطلاق مما جعل كل من المدرسات تنظر إلى الأخرى إلى أن قالت إحداهن:

" هذا ليس عدلاً ! فهذا الطعام لا يؤكل..."

ثم سمعتهن يذكرن اسم السيد *بروكلهورست*.

وبذلك كنا لا نزال نشعر بالكثير من الجوع عندما عدنا من جديد إلى الدراسة. كان الصمت قد ساد القاعة لبضع دقائق إلى أن رأيت السيدة التي كانت قد تحدثت إلي ليلة الأمس تدخل إلى القاعة، وهي السيدة التي علمت لاحقاً بأنها تدعى الآنسة *تمبل* وبأنها تتولى إدارة تلك المدرسة. وقف الجميع احتراماً لها ثم بدأت تتحدث قالت :

" لدي ما أقوله لكنّ . علمت بأنكن لم تتمكنّ من تناول وجبة الإفطار صباح اليوم . لابد أنكنّ جائعات، لذا أعطيت الأوامر بأن تُقدّم لكنّ وجبة من الخبز والجبن."

كان لذلك أثره في إثارة البهجة لدى الجميع، وكنا بعد تناولنا تلك الوجبة قد خرجنا إلى الحديقة.

بدا لي بأنه لم يكن أحد قد التفت لوجودي، كما أنني لم أكن أعلم تماماً أين كنت، لكنني عندما نظرت إلى باب المدرسة إذا بي أشاهد عليه لوحة حجرية كبيرة كتبت عليها العبارة التالية:

" مؤسسة لوود ـ تم بناء هذا القسم من قبل السيد نعومي بروكلهورست"

تساءلت عما تعنيه تلك المؤسسة لذا كنت ،عندما شاهدت فتاة أكبر سناً مني كانت جالسة إلى جانب باب المدرسة تُطالع أحد الكتب، قد سألتها

" رجاء ! هل بإمكاني الاستفسار منك عن معنى العبارة المكتوبة على الباب *" مؤسسة لوود"*

" تعني المكان الذي نقيم فيه ." وأجابت

سألتها من جديد "لِم كُتبت كلمة مؤسسة هل يعني ذلك أنها مختلفة عن أية مدرسة؟."

" ذلك لأنها مدرسة خيرية ، فنحن هنا نعيش على الإحسان . أعتقد بأنك يتيمة!."

" نعم ، فقد توفي والداي قبل أن أكون في السن الذي بإمكاني أن أتذكر ذلك."

" نحن هنا جميعاً يتيمات."

" هل علينا أن ندفع المال؟"

" يُساهم أصدقاؤنا ب ١٥٪ من النفقات سنوياً ، لكن مثل هذا المبلغ لايكفي لتغطية ما يلزمنا من نفقات،. لذا يتم تحصيل الباقي من ذوي الإحسان."

" من هو السيد *بروكلهورست*؟"

"إنه ابن السيد *نعومي بروكلهورست* أمين الصندوق و مدير هذا المكان."

" هل هو من الأشخاص الطيبين؟"

"إنه من الكهنة ."

" هل يعود هذا المكان للآنسة *تمبل* ؟"

"أووه!.. لا بالطبع، أتمنى لو كان الأمر كذلك. كل ما على الآنسة *تمبل* هو أن تنفذ فقط ما يطلبه منها السيد *بروكلهورست*."

كان اسم صديقتي الجديدة تلك *هيلين بورنز* ، وكنت قد عرفت منها بعد ذلك أسماء جميع المدرسات والكثير من الأمور الهامة الأخرى."

ثم كان هناك بعد ذلك المزيد من الأجراس والمزيد من الدروس تلاها تقديم وجبة الغداء التي كانت عبارة عن مزيج من الخضار واللحوم المطهوّة معاً والتي لم تكن طيبة المذاق على الإطلاق. لكنني كنت قد أكلت ما استطعت منها وأنا أتساءل فيما إذا كانت جميع وجبات الغداء التي ستقدم إلينا على غرار ذلك...

ثم استمرت الحصص الدراسية حتى الخامسة مساء كنا قد تناولنا بعدها وجبة أخرى كانت عبارة عن قطعة صغيرة من الخبز الأسمر مع بعض الشاي،. تلا ذلك المزيد من الحصص الدراسية،. إلى أن كانت كل منا بعد تناولنا لوجبة عشاء كانت ذات وجبة عشاء الليلة السابقة، قد ذهبت إلى فراشها. هذا ما كان عليه يومي الأول في تلك المدرسة.

الفصل الثالث

السيد بروكلهورست يزور المدرسة

كانت الأيام في *لوود* تمر ببطء شديد وكنت قد حاولت أن أتقيد بالأنظمة المطبقة فيها وبأن أنفذ كل ما يُطلب مني لكي أحصل على رضى كل من حولي.

كنت ذات يوم وأنا جالسة في قاعة التدريس أحاول إنجاز واجب حصة الرياضيات، قد رأيت السيد *بروكلهوست* يدخل إلى القاعة كان قد جاء في زيارة تفقدّية إلى المدرسة. وبما أنني كنت قد تذكرت حينئذ الكلمات الجارحة التي كانت السيدة ريد زوجة خالي قد تحدثت بها إليه عني ،. فقد قبعت في مقعدي وحاولت أن اختبئ عن الأنظار. كنت قريبة جداً منه وبذلك كان بإمكاني أن أسمع ما كان يدور من حديث بينه وبين الآنسة *تمبل*. قال السيد *بروكلهورست:*

" أريد أن تقوم الفتيات برتق الجوارب بشكل متقن. لقد تفحّصت الجوارب المعلقة على حبل الغسيل ووجدت بأن فيها العديد من الثقوب، نعم ، هناك ثقوب كبيرة فيها..."

قالت الآنسة *تمبل* " سوف يتم العمل بذلك بالتأكيد، سيد *بروكلهورست*."

ثم تابع حديثه بالقول " لكن ما استغربته أكثر هو ما نُمي إلي بأنه كان قد تم منذ أسبوعين منح الفتيات وجبة إضافية من الخبز والجبن كيف حدث ذلك؟؟.. أنت تعلمين بأن الأنظمة لاتسمح بمنح مثل هذه الوجبة فمن الذي أمر بذلك؟.."

أجابت الآنسة *تمبل* " أنا من طلبت ذلك سيدي . كانت وجبة الإفطار محترقة تماماً ولم تكن تؤكل ، لذا لم يكن بإمكاني أن أدع الفتيات جائعات إلى أن يحين موعد العشاء."

قال السيد *بروكلهوست* بحنق :

" سيدتي! دعيني أوضح لك ما يلي : أنت تعلمين جيداً بأنه ليس في نيتي أن أقوم بتنشئة هؤلاء الفتيات في جو من الترف والرفاهية، وإنما علي أن أعمل على جعلهن فتيات ذوات عزم لكي يكون بإمكانهن تحمل أعباء الحياة من جوع وبرد... إن لم يكن الطعام المحترق مناسباً، فإن من شأن وجبة من الخبز والجبن أيضاً أن تفسد أسلوب تدريبهن على ذلك، فأنت بذلك قد تُشبعين حاجتهن البدنية لكنك تغفلين عن ترويض أرواحهن."

ثم توقف السيد *بروكلهورست* قد توقف عن الحديث بينما كانت الآنسة تمبل تضغط على شفتيها بشدّة لكي تخفي ابتسامتها . ثم كان السيد *بروكلهورست* ، الذي كان واقفاً إلى جانب المدفأة، ينظر إلى الباحة التي تجمعت فيها الطالبات قد قفز فجأة أشبه بمن تلقّى ضربة على رأسه، والتفت بسرعة إلى الآنسة *تمبل* وقال:

" ماالذي أشاهده هناك؟ فتاة ذات شعر جّعد ؟ شعر أحمر جَعد ... شعر جَعد أحمر ؟..."

" سيدي ، هذه هي إحدى الطالبات وتدعى *جوليا سيفرن* "

" ولِم لها هذا الشعر الأحمر المُتموّج الجَعد ؟ وهنا وفي مثل هذه المؤسسة الخيرية!."
قالت الآنسة *تمبل* بسرعة:
"هذا هو شعرها الطبيعي سيدي ."
" شعرها الطبيعي ؟ لكن ليس علينا مع ذلك أن ندع الأمر هكذا... كنت قد أعلمتك مراراً وتكراراً بأنني لا أوافق على أن تكون لدينا في هذه المؤسسة فتيات ذوات شعر أحمر أو ذوات شعر جَعد . يجب أن يتم قصّ شعر هذه الفتاة على الفور... سوف أتفحّص الآن الفتيات الأخريات. اطلبي من تلك الفتاة الطويلة القامة التي تقف هناك أن تستدير... اطلبي من جميع الفتيات أن يستدرن نحو الحائط."
حاولت الآنسة *تمبل* أن تخفي ابتسامتها وهي تنقل تلك الأوامر للفتيات اللواتي كان من العسير جداً عليهن أن يفهمن سببها.، وكان من المؤسف ألايكون بإمكان السيد *بروكلهورست* أن يرى تعبير وجههن وهنّ يُنفذن مثل تلك الأوامر. وكان السيد *بروكلهورست* بعد أن قام بتفحّص رؤوس الفتيات لمدة خمس دقائق بصمت قد قال:
" يجب أن يتم قصّ شعور جميع هؤلاء الفتيات!.."
حاولت الآنسة *تمبل* أن تتكلم ، لكنه كان قد استمر في حديثه بالقول:
" أريد أن تكون هؤلاء الفتيات بملابس بسيطة وبشعور غير متموّجة أو جَعدة."
وكان الباب قد فُتح في تلك اللحظة ودخلت منه زوجة السيد *بروكلهورست* وابنتيه. أعتقد بأن كان عليهن أن يدخلن قبل لحظات.، ذلك لأن ملابسهن كانت من الحرير المرتفع الثمن كما كانت شعورهن مُتمّوجة ،حتى أن الشعر الرمادي لزوجته المتقدمة في السن كان على شكل تموجات .

السيد بروكلهورست يعاقبني أمام جميع طالبات المدرسة

ولسوء الحظ كان قلمي قد سقط من يدي في تلك اللحظة وكُسر. التفت السيد *بروكلهورست* حينئذ إلي وصاح :
" يا لها من فتاة مُهملة!.. أه.... هذه هي الطالبة الجديدة. اطلبي من هذه الطفلة التقدّم."
كنت قد شعرت بخوف شديد بحيث لم تعد لدي حتى القدرة على الحركة، وبذلك دفعتني إحدى الفتيات إلى الأمام ثم اصطحبتني إليه الآنسة *تمبل* برفق وهي تقول لي بهدوء " لاتخافي جين ".
قال السيد *بروكلهورست*" أحضروا كرسياً عالياً وضعوا هذه الفتاة فوقه."
وكان بعد أن تم وضعي فوق ذلك الكرسي قد صاح:
" أترون هذه الفتاة ؟"
نظر إليّ الجميع بالطبع . كنت أشعر بأعينهن تكاد تحرقني ثم تابع كلامه بالقول :

" أترون كم هي صغيرة السن؟... قد لايوحي إليكم شكلها بما في نفسها من شرور ... فمن بإمكانه أن يتخيّل بأن الشيطان قد سيطر على روحها؟... ومع ذلك يؤسفني أن أقول بأن الأمر كذلك. "

ثم توقف قليلاً وتابع حديثه بالقول:

" لذا فإن من واجبي يا فتياتي العزيزات أن أحذركن منها... عليكن أن تحترسن منها... كما أن عليكن في حال الضرورة أن تدعوها بمفردها... وبألا تلعبوا معها وألا تتحدثوا إليها ... وعلى المدرسات أيضاً مراقبتها ومعاقبتها لأن هذا الفتاة كاذبة مُخادعة."

كان الصمت قد ساد في القاعة ثم قالت إحدى ابنتيّ السيد *بروكلهورست* " كم هذا شنيع!..."

وتابع السيد *بروكلهوست* كلامه بالقول :

" هذا ما أعلمتني به السيدة التي كانت قد عاملتها كما لو أنها ابنتها وقد أجبرت في نهاية الأمر على إرسالها إلى هذه المؤسسة لكي يتم إصلاحها."

ثم توجه مع زوجته وابنتيه نحو الباب لكنه كان قبل أن يغادر الغرفة قد أضاف:

" دعيها تبقى في هذا الوضع لساعة إضافية ولاتدعي أي من الفتيات تتحدث إليها طوال اليوم."

هيلين بونس تواسيني

كان الظلام قد حلّ إلى تم إنزالي عن ذلك الكرسي المرتفع . كنت قد جلست بمفردي في إحدى زوايا الغرفة بحيث يكون بإمكاني أن أبكي وأبكي بحريّة وأنا أحدث نفسي :

" كنت قد عقدت العزم على أن أكون فتاة مستقيمة وبأن تكون لدي بعض الصديقات في هذه المدرسة، وها أنا الآن أجلس وحيدة مَنسية."

ثم تساءلت" تُرى هل سيكون بإمكاني بعد الآن أن أنهض من جديد ؟.."

أخذت دموعي تتساقط بغزارة وكنت قد تمنيت الموت...

وبينما كنت في تلك الحالة من الأسى واليأس الشديد رأيت إحدى الفتيات تقترب مني وهي تحمل بيدها كاساً من الشاي وقطعة من الخبز. قالت:

" عليك الآن أن تناولي بعض الطعام."

ثم جلست إلى جانبي وبدأت تُواسيني. كانت قد أحاطتني بذراعيها و كنت قد وضعت رأسي على صدرها وأجهشت بالبكاء...

وكانت الآنسة *تمبل* قد عثرت علينا بعد قليل وقالت لي:

" جين، جئت خصيصاً لأجلك. أريد أن أتحدث إليك في مكتبي و بإمكان هيلين أن ترافقك مادامت معك الآن."

كنا قد تبعناها إلى مكتبها وكانت الآنسة *تمبل* بعد أن جلسنا أنا و هيلين على كرسي منخفض، قد طلبت مني الاقتراب منها.

الآنسة تمبل تواسيني

قالت "حسناً، ألم ينتهِ كل شيء الآن؟ ألم تتمكني من إزالة حزنك بما يكفي من البكاء؟"
أجبت " لن يكون بإمكاني أن أنسى ما حدث على الإطلاق."
سألتني " لماذا؟"
"لأن الجميع سوف يعتقدون بأنني بالفعل فتاة شريرة."
قالت" لا تقلقي ، فسوف نُكوّن فكرتنا عنك بحسب تصرفاتك وبما سوف تُثبتينه لنا بنفسك. من هي تلك السيدة التي كانت تساعدك؟"
" إنها زوجة خالي . كان خالي قبل وفاته قد تركني تحت رعايتها."
" هل يعني هذا بأنها لم تكن قد تولت رعايتك بمحض إرادتها ؟"
" نعم ، كانت قد تضايقت جداً لأنه عليها أن تفعل ذلك تنفيذاً لوصيته."
" حسناً جين ، يجب أن يكون بإمكانك أن تُدافعي عن نفسك. اشرحي لي قدر الإمكان لِم نعتتك تلك السيدة بالكاذبة."
رويت لها كل ما مررت به في أيام طفولتي وكنت قد شعرت حينذاك بأنها صدّقتني . كانت الآنسة *تمبل* بعد أن أنهيت روايتي قد التزمت الصمت لبضع لحظات ثم قالت:
" ها قد أصبحت الأمور واضحة تماماً بالنسبة إلي الآن، كما أنني أعرف شخصاً بإمكانه أن يؤكد لي مدى صحّة روايتك . سوف أكتب إليه وسوف يتم إعلان الحقيقة على الجميع ".
ثم قبلتني وُقرعت الجرس إعلاناً بموعد تناول الشاي.
وكانت الآنسة *تمبل* بعد أسبوع قد أعلنت أمام جميع الطالبات بأنه يسعدها التوضيح بأن ما نُسب إلي لم يكن صحيحاً .
كانت الفتيات قد سُررن جداً لإعلان تلك الحقيقة. وكنت أيضاً في غاية السعادة مما جعلني أشعر حينذاك بأنني لن أقايض الحياة في مؤسسة *لوود* ،بكل ما فيها من مصاعب، بجميع ما في *غيتسهيد* من رفاهية..
ثم كان انتشار الحمى في المدرسة بعد مرور عام على انتسابي إليها ،قد لفت انتباه الرأي العام إليها وبذلك تم إجراء التحقيقات حول وضع المؤسسة .، وانتهى الأمر إلى أن تغيّرت الأمور فيها إلى الأفضل...
وكنت قد مكثت هناك ثمانية أعوام، كنت خلال ذلك طالبة لمدة ستة أعوام ثم عملت مدرّسة فيها لمدة عامين. كانت الآنسة *تمبل* قد أصبحت بالنسبة إلي خلال تلك الأعوام بمثابة الأم والمدرّسة إلى أن أصبحت آخر الأمر بمثابة الصديقة لي أيضاً.، وبذلك لم أعد أشعر تماماً بالأمان عندما تزوجت الآنسة *تمبل* وغادرت المدرسة.

ولسنوات طويلة، كان كل عالمي هو مؤسسة *لوود* فقط ،لكنني كنت بعد ذلك قد أدركت بأنه لابدّ أن يكون هناك في الخارج عالم كبير بانتظار من لديهم ما يكفي من الشجاعة لدخوله، وبأنه قد يكون بإمكاني أن أقدم خدماتي في مكان آخر .، وتساءلت لكن كيف سيكون بإمكاني أن أحقق ذلك؟ ثم تذكرت بأن بإمكاني أن أكتب إلى إحدى الصحف وأنتظر ما سوف يردني من إجابات. وبذلك كتبت الإعلان التالي:
"ترغب فتاة شابة بالحصول على عمل كمدرسة أو مربية لأطفال تحت سن الرابعة عشر. لدى تلك الفتاة المؤهلات لتدريس المناهج الدراسية الانكليزية وكذلك بإمكانها تدريس اللغة الفرنسية والموسيقى والرسم .

الاسم: *جين إير* والعنوان : مكتب البريد في مؤسسة *لوود*.
وكنت بعد مرور أسبوع قد تلقيت الردّ التالي:
"بإمكان الآنسة *جين إير* صاحبة الإعلان أن تحصل على العمل المطلوب لدى عائلة لديها طفلة واحدة ، وذلك براتب ثلاثين جنيهاً . يُطلب منها أن ترسل ما يُثبت المؤهلات التي أوردت ذكرها إلى عنوان السيدة *فيرفاكس* في منطقة ثورنفيلد التي تقع بالقرب من منطقة ميلكوت."
كنت بعد أن تفحّصت الرسالة بعناية قد وجدت بأن الخط يدّل على أن من كتب الرسالة سيدة متقدمة في السن. كما وجدت بأن ذلك العرض يبدو مناسباً من جميع النواحي. وبذلك قمت بإعداد الوثائق المطلوبة وأرسلتها إلى العنوان المذكور.
وكنت قد تلقيت منها إجابة على الفور أبدت فيها موافقتها على استخدامي وأعلمتني بأنها تتوقع أن التحق بالعمل خلال أسبوعين من تاريخ استلامي لرسالتها.
مرّ الأسبوعان بسرعة ، وبذلك كنت عندما آن الأوان لمغادرتي *لوود* قد حملت أمتعتي وتوجهت إلى *ميلكوت* بواسطة عربة قد نقلتني إلى ذلك المكان الذي يبعد مسافة سبعين ميلاً عن منطقة *لوود*.

الفصل الرابع

وصولي إلى ثورنفيلد

كنت قد غادرت *لوود* في الرابعة صباحاً وصلت إلى فندق جورج في *ميلكوت* في الثامنة مساء. نظرت حولي بحثاً عن عربة تنقلني إلى *ثورنفيلد*. سألت أحد الخدم:

" أين بإمكاني أن أجد عربة تقلّني إلى *ثورنفيلد* وإذا به يسألني " هل أنت الآنسة جين *إير*؟"

" نعم"

" هناك شخص بانتظارك هنا."

كان ذلك الرجل واقفاً بانتظاري إلى جانب عربة يجرّها حصان واحد حيث قام على الفور بوضع حقيبتي وأمتعتي في العربة ثم صعدت إليها وبدأت رحلتنا...

كنت عندما ألقيت نظرة إلى العربة وإلى الحوذي قد أدركت بأن السيدة *فيرفاكس* لابدّ أن تكون سيدة من طبقة اجتماعية رفيعة، وهو الأمر الذي جعلني أشعر بالكثير من الراحة. كانت الليلة حالكة الظلام وكانت الطريق وعرة وقد استغرقت تلك الرحلة ساعتان.

كان الحوذي عندما وصلنا قد فتح البوابة، وخلال لحظات كانت إحدى الخادمات خلال لحظات قد أطلّت من ذلك البيت الواسع وقالت:

" آنستي ، تفضلي بالدخول من هنا."

كنت قد تبعتها عبر ردهة واسعة يُحيط بها العديد من الأبواب إلى أن دخلنا إلى غرفة صغيرة حيث كانت سيدة مُسنّة بانتظاري إلى جانب الموقد. كانت تلك السيدة جالسة تُحيك بهدوء ،. وبذلك لم يكن هناك أفضل مما قد تنتظره مربية في بداية عملها.

كانت قد نهضت من مقعدها على الفور وقالت:

"كيف حالك عزيزتي ؟ لابدّ أنك تشعرين بالبرد، اقتربي من الموقد."

سألت " أعتقد أنك السيدة *فيرفاكس*"

وأجابت " هذا صحيح، اجلسي من فضلك عزيزتي!"

كنت بالأحرى قد شعرت حينئذ ببعض الحرج بأن يكون هناك من يوليني مثل ذلك القدر من الاهتمام وهو أكثر مما كنت لقيته طوال حياتي...

وكنت بعد أن تناولت الطعام الذي أعدّ لأجلي قد قلت للسيدة *فيرفاكس* :

" هل بإمكاني أن أحظى بسرور التعرّف على طالبتي الآنسة *فيرفاكس* هذه الليلة؟ "

أجابت باستغراب" الآنسة *فيرفاكس* ؟ لابد أنك تعنين الآنسة *فارنس*؟"

" أليست طالبتي ابنتك ؟"

" لا ... فليس لدي أي أولاد"
أدركت حينئذ بأنه ليس من اللباقة أن أوجّه إليها المزيد من الأسئلة، وبذلك لم أكن قد أضفت شيئاً و إكتفيت بأن شكرتها وأعلمتها بأنني أود الذهاب إلى غرفتي، وبذلك قامت بنفسها باصطحابي إليها .
كانت الغرف والأبواب تبدو بتلك النوافذ الواسعة أشبه بغرف الكنائس، لكنني شعرت بالكثير من السرور لأن غرفتي كانت صغيرة وذات مفروشات حديثة. وعلى الرغم ن أنني كنت في غاية التعب من الناحيتين الجسدية والفكرية إلا أن قلبي كان قد امتلأ بالبهجة والسكينة بأن أكون قد أصبحت آمنة في بيت يضمّني، وبذلك كنت قد ركعت وشكرت الله تعالى على رحمته...

أخذت علماً باسم الشخص الذي سوف أعمل لديه

عندما استيقظت صباح اليوم التالي وجدت بأن غرفتي تلك مكان صغير مُشرق بتلك الستائر الزرقاء التي تتخللها أشعة الشمس الدافئة، وهو ما كان ذلك مختلفاً جداً عن المكان العادي الذي عشت فيه لسنوات في مؤسسة *لوود.*
كنت قد ارتديت ملابسي بعناية فلم يكن من عادتي أن أهمل مظهري، لكنني في الحقيقة كنت أشعر أحياناً بالأسف لأنني لست جميلة الشكل . كنت أتمنى أن أكون ذات قامة طويلة ممشوقة لكنني كنت للأسف شاحبة الوجه وقصيرة القامة قليلاً... ومع ذلك كنت بعد أن ارتديت ثوبي الأسود ذي الياقة البيضاء النظيفة قد توجهت بكل ثقة إلى غرفة الطعام.
كان كل ما في تلك الغرفة يوحي بالفخامة وبالترتيب. استقبلتني السيد *فيرفاكس* ببشاشة وسألتني:
"كيف وجدت *ثورنفيلد*؟"
وأعلمتها بأنني أحببت المكان جداً.
وأجابتني " نعم، لكنني أخشى أن تتحوّل إلى مكان مهجور ما لم يأت السيد *روشستر* كعادته للعيش هنا من وقت لآخر."
سألتها حينئذ" من هو السيد *روشستر*؟"
" إنه مالك هذا المكان. ألم أكن قد أعلمك بذلك؟"
لم أكن قد أُعلمت بذلك بالطبع كما لم أكن قد سمعت سابقاً بذلك الاسم.، لكن السيدة العجوز كانت تعتقد بأن من المفترض أن يعرفه كل شخص في هذا العالم. قلت:
" اعتقدت أن هذا المكان يعود إليك!.."
أجابت وهي تبتسم " هل يمكن أن يعود مثل هذا المكان إليّ ؟ ليباركك الله طفلتي ! فأنا لست سوى مدبرة لهذا المنزل. صحيح أنني من أقرباء السيد *روشستر* لكنني لست هنا سوى مدبرة للمنزل."
سألتها " فمن هي إذن طالبتي ؟"

" إنها *أديل فارنس* " ثم أضافت " ها هي طالبتك تدخل الغرفة."

ثم دخلت الطفلة إلى الغرفة.

كنا أنا وطالبتي قد أصبحنا بسرعة أصدقاء. بعد تناول الإفطار، ذهبنا معاً إلى المكتبة التي كان من المفترض أن تكون غرفة التدريس، وكانت السيدة *فيرفاكس* بعد انتهاء الدروس قد دعتني لمرافقتها للتعرّف على جميع غرف المنزل. وكانت عندما سألتها:

" كيف بإمكانكم أن تحافظوا على جميع هذه الغرف بهذا القدر من النظافة والترتيب؟"

قد أجابتني" ذلك لأن زيارات السيد *روشستر* لهذا المكان تتم دوماً بشكل مفاجئ وغير متوقع وعلينا أن نكون دوماً على أهبة الاستعداد."

" هل هو من الأشخاص الذين يصعب إرضاءهم؟"

" ليس الأمر كذلك، لكن السيد *روشستر* يرغب بأن يتم الحفاظ على المنزل بالشكل اللائق."

سألتها " كيف يبدو السيد *روشستر*؟"

" هو شخص غريب الأطوار بعض الشيء. هو من الأشخاص الأذكياء جداً ، لكنني في الواقع لا أتحدث إليه كثيراً لأنه يسافر كثيراً وبذلك فهو يتغيب عن المنزل في أكثر الأحيان."

وكنا بعد ذلك قد تجوّلنا بالتجوّل في المكان، وما لفت نظري بشكل خاص كان قِدم المفروشات وبشكل خاص المفروشات التي كانت في الطابق العلوي من المنزل مما يجعل المنزل يبدو في غاية القِدم.

سألتها " هل هناك أشباح في هذا المنزل؟"

وكانت السيدة *فيرفاكس* قد ضحكت وقالت:

" حسب معلوماتي، ليس هناك أي أشباح في هذا المنزل ".

وكنت أثناء قيامها بإغلاق الباب قد استمريت بالسير ببطء في الممر وإذا بي أسمع صوت ضحكة غريبة. كانت تلك الضحكة خافتة في البداية ثم بدأت تصبح أعلى فأعلى... وبذلك سألت السيد *فيرفاكس*:

" هل تسمعين ؟ ما هذه الضحكة الغريبة؟"

وأجابتني "نعم، إنها الآنسة *غراس بول* وهي خياطة تعمل في إحدى الغرف الداخلية. ثم نادت " *غراس*!"

فُتح أحد الأبواب وخرجت منه إحدى الخادمات. قالت لها السيدة *فير فاكس*:

" *غراس!* هناك الكثير من الضجيج. عليك أن تتذكري بأن عليك القيام بواجباتك على الوجه المطلوب."

وعادت السيدة *غراس* إلى غرفتها دون أن تنبث ببنت شفة.

ثم قالت لي السيدة *فير فاكس*:

" آنسة جين، بالمناسبة كيف وجدت طالبتك؟ "

ثم تحدثنا عن *أديل* التي انضمت إلينا فيما بعد وتناولنا العشاء معاً.

الفصل الخامس

التقيت السيد روشستر

كنت بذلك قد بدأن مرحلة جديدة من حياتي. كانت السيدة *فيرفاكس* سيدة طيبة القلب كما كانت طالبتي *أديل* فتاة مطيعة ملتزمة سهلة الانقياد راغبة بالتعليم .

ثم مرت أشهر تشرين الأول (أكتوبر) وتشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الأول (ديسمبر)..

إلى أن كانت السيدة *فيرفاكس* ذات يوم من أيام شهر كانون الثاني (يناير) قد طلبت مني السماح *لأديل* بعدم تلقي دروسها اليومية لإصابتها بنزلة برد شديدة . وبما أن ذلك اليوم كان من الأيام المشرقة ، فقد طلبت موافقتها على ذهابي إلى دائرة البريد التي تبعد حوالي الثلاثة أميال عن المنزل لكي أضع رسالة في البريد، بحيث يكون ذلك أيضاً بالنسبة إليّ بمثابة النزهة والتريّض.

كان الهواء ساكنا وكانت الطريق هادئة. كنت قد توقفت قليلاً إلى جانب الطريق وأنا أنظر إلى الشمس التي كانت قد بدأت تغرب شيئاً فشيئاً، و كان بإمكاني أيضاً أن أشاهد من ذلك المكان *ثورنفيلد* عن بعد.

فجأة اخترق ذلك السكون صوت وقع حوافر حصان كان ذلك الحصان يركض بسرعة يتبعه كلب بوليسي وعلى متنه راكبه.

كنت قد انسحبت بسرعة إلى جانب الطريق الضيقة لكي أترك المجال لمرورهم ،لكنني لم أكد أخطو عدة خطوات إلا وسمعت صوت سقطة ثم تلا ذلك صوت يصيح بغضب:

" أووه!... ماالذي بإمكاني أن أفعله الآن بحق الله ؟."

كنت عندما التفت قد شاهدت الحصان والراكب على الأرض.كانا قد سقطا على الجليد. ركض الكلب إليّ كما لو أنه كان يطلب مني المساعدة وبذلك تبعته لكي أرى بنفسي ما حدث.

سألت الرجل " سيدي، هل أصبت بأذى ؟ "

أعتقد أنه كان يشتم لأنه لم يجبني. وبذلك سألته من جديد:

" سيدي ، هل بإمكاني أن أقدم إليك أية مساعدة؟"

قال لي بلهجة آمرة " كل ما عليك هو أن تقفي إلى جانبي".

ثم نهض على ركبتيه ثم على قدميه، وكنت بذلك ابتعدت قليلاً وأخذت أنظر إليه وهو يحاول مساعدة الحصان على الوقوف إلى أن تمكن آخر الأمر من أن يفعل ذلك، لكن شيئاً ما كان قد حدث مما جعله لا يتمكن من امتطاء الحصان.

لاحظت بعد ذلك بأنه قد بدأ يعرج وهو يتوجه إلى جانب الطريق، وسألته من جديد :

" سيدي ، إن كنت قد أصبت بأذى فبإمكاني أن أطلب المساعدة من *ثورنفيلد*."

نظر إلي بدهشة ثم أجابني " شكراً لك . بإمكاني أن أتدبر الأمر ".

لكن من الواضح أنه كان يتألم. كان ذلك الرجل في منتصف العمر ، وكانت تبدو عليه علامات الغضب الشديد . خطر ببالي بأنه لابدّ في الخامسة
والثلاثين من العمر، فلو أنه كان شاباً أو لو أنه كان جميل الطلعة لما كان بإمكاني أن أظلّ واقفة أمامه لمدة أطول، ولا أن أعرض عليه مساعدتي بهذا الإلحاح... كما أنه لو كان قد تصرّف بأسلوب أكثر تهذيباً في رفضه مساعدتي، لكنت سأذهب في طريقي وأتركه، لكن أسلوبه الجلف في التحدّث إليّ كان قد جعلني لا أشعر بالخوف منه. وبذلك قلت من جديد :

" سيدي ، ليس بإمكاني أن أتركك في هذا المكان إلى أن تتمكن من امتطاء فرسك من جديد"

نظر إلي وقال " أعتقد بأنك أنت من عليها أن تكون الآن في منزلها. أين تُقيمين؟"

أشرت إلى *ثورنفيلد* التي كانت تبدو عن بعد وقلت:

"هناك، وكنت في طريقي إلى دائرة البريد."

سألني " أتقصدين أنك تُقيمين في ذلك المنزل؟ أأنت تُقيمين في *ثورنفيلد*؟"

" نعم ،سيدي."

" لمن يعود ذلك المكان ؟

" للسيد *روشستر*."

" هل تعرفين السيد *روشستر*؟"

" لا، لم أتعرّف عليه بعد، فهو مسافر حالياً."

أخذ يتفحّصني وكأنه يتساءل عمن أكون، ذلك لأن ملابسي على الرغم من بساطتها لم تكن توحي بأنني من طبقة الخدم."

لذا قلت له " أنا أعمل هناك بصفة مربية ."

قال " أه... لقد نسيت !أنت المربية..."

وكان بعد أن نظر إلي من جديد نظرة فاحصة طويلة قد حاول بصعوبة أن يمتطي جواده ،لكن علامات الألم كانت تبدو على وجهه وبذلك قال لي:

" علي أن أطلب منك الاقتراب مني."

وكنت عندما اقتربت منه قد قال:

" أرجو المعذرة لكنني مُرغم على أن أطلب منك تقديم المساعدة إلي. ثم وضع يده الخشنة على كتفي وكان بعد أن بذل بعض الجهد قد استطاع الوقوف على قدميه ثم قال:

" كل ما عليك الآن أن تناوليني عصاي فقط . ها هي في الجانب الآخر من الطريق، وأعتقد بأن عليك الإسراع الآن بالذهاب إلى مكتب البريد لكي تضعي رسالتك... ثم امتطى جواده وأسرع بالانطلاق بينما استأنفت السير في طريقي...

كنت حينذاك قد شعرت بالرضى لأنني قدمت خدمة لشخص ما ، كما أن ذلك الشخص الجديد كان أشبه بصورة جديدة أضيفت إلى ذهني...

كنت قد تأخرت عندما عدت إلى *ثورنفيلد* ، كان الظلام قد بدأ يحلّ لذا أسرعت إلى غرفة السيدة *فيرفاكس* ، لكنني لم أجدها هناك .، لكن ما لفت نظري أنني كنت قد شاهدت ذلك الكلب الأسود البوليسي الذي كنت رأيته مع ذلك الشخص الغريب، مستلقياً على الأرضية إلى جانب المدفأة !.

سألت الخدم " لمن هذا الكلب؟"

وكانت الإجابة "إنه للسيد *روشستر*. كان السيد قد تعرّض لحادث في طريقه إلى *ثورنفيلد* وقد ذهب جون الآن لاستدعاء الطبيب."

الفصل السادس

اجتماعي وأديل بالسيد روشستر

كانت *ثورنفيلد* قد تغيرت تماماً بعد عودة السيد *روشستر* ، وكأنها تحوّلت إلى مكان آخر حيث تمت إضاءة أنوار جميع غرف وقاعات المنزل ، وارتفعت أصوات الخدم وتراكضت الأقدام.

كما لم يعد بإمكان *أديل* التقيد بانجاز واجباتها الدراسية نظراً لما كانت تشعر به من الحماس لاستلام صندوق الهدايا الذي أعلمها السيد *روشستر* بأنه جلبه لها. في مساء اليوم التالي كان السيد *روشستر* قد استدعانا إليه حيث قالت السيدة *فيرفاكس* :

" يرغب السيد *روشستر* بتناول الشاي معك ومع طالبتك هذا المساء."

كنت قد ارتديت ثوبي الأسود الجديد وتوجهت إلى الطابق السفلي، ورافقتني السيدة *فيرفاكس* إلى الغرفة التي كان السيد *روشستر* جالساً فيها على كرسي بينما كانت ساقه الأخرى ممدّدة على كرسي آخر ،و كنت بذلك رأيت من جديد ذلك الوجه الجدّي الصارم . لم يكن السيد *روشستر* قد التفت إلى السيدة *فيرفاكس* عندما قدمتني إليه بالقول:

" سيدي ، ها هي الآنسة جين *إير*."

ولو كان حينذاك قد تصرف تجاهي بأسلوب أكثر تهذيباً لكنت سأشعر بالاضطراب .، لكن أسلوبه الجلف في التحدث إلي كان قد أعاد إلي تماسكي... كان ما فعله عندما بدأت السيدة *فيرفاكس* بالتحدث إليّ عن حادثة تعثّر جواده وسقوطه قد قال بفظاظة :

" سيدة *فير فاكس*، ألن نتناول الشاي الآن ؟"

قالت لي السيدة *فيرفاكس* " هل بإمكانك أن تُناولي السيد *روشستر* كأس الشاي؟"

ناولته كأس الشاي. وكانت *أديل* عندما تناول الكأس من يدي قد قالت:

" أبي، هل جلبت هدية للآنسة جين؟"

سألني " هل تحبين الحصول على الهدايا آنسة جين؟

وأجبته " في الواقع، لست أعرف فيما إذا كنت أحب الهدايا أم لا ، فلم يسبق لي أن تلقيت أية هدية، وبما أنك شخص غريب عني فلست أتوقع أن أحصل منك على أية هدية."

قال " لا تقولي هذا، أنا أعلم بأن أديل لست طالبة لامعة الذكاء لكنني أرى الآن بأنها قد أحرزت الكثير من التقدم في دراستها بفضل جهودك ."

أجبته " سيدي ! ها قد حصلت الآن على هديتي."

ثم سألني بعد ذلك:

" لقد مضى على وجودك هنا ثلاثة أشهر أليس كذلك؟"

" نعم سيدي."

"وكنت قد جئت من...؟"

" جئت من مؤسسة *لوود*."

قال " التي هي مدرسة للفتيات اليتيمات أليس كذلك؟ كم كان عدد السنوات التي أمضيتها هناك؟

"ثماني سنوات سيدي."

" علي أن أقول بأن نصف هذه المدة في مثل ذلك المكان كان بإمكانها أن تقضي عليك. لذا لست أعجب من أن تكوني أشبه بمخلوقة أتت من عالم آخر. كنت قد اعتقدت عندما رأيتك ليلة الأمس في تلك الطريق بأنك إحدى الجنّيات . من هو والدك ومن هي والدتك؟"

"ليس لدي أي منهما."

" هل كنت عندما التقيت بك ليلة الأمس في الظلام بانتظار صديقاتك الجنيّات الصغيرات، وكنت أنا من تسببت بمنع ذلك اللقاء؟"

هززت رأسي وقلت:

"سيدي، أنت تعلم بأن عصر الإيمان بالجنّ قد انتهى من مئات السنين."

وكنت أتحدث بكل جديّة كما كان يفعل.

قال " حسناً، إن لم يكن لديك والدان أليس لديك أعمام أو أخوال وخالات.

" لم أجتمع بأي منهم طوال حياتي."

"وماذا عن منزلك؟"

" ليس لدي أي منزل."

" من الذي أرسلك إلى هذا المكان؟"

" كنت قد نشرت إعلاناً في إحدى الصحف وكانت السيدة *فيرفاكس* من أجابت على رسالتي."

قالت السيدة *فيرفاكس* حينئذ:

" نعم، وأنا سعيدة لأنني فعلت ذلك. الآنسة *جين إير* هي الآن رفيقتي كما أنها مدرسة جديرة جداً للآنسة *أديل*."

أجاب " سوف أحكم على هذا الأمر بنفسي. كانت قد بدأت بذلك ليلة الأمس ويجب أن أشكرها لأنها كانت قد قدمت إلي المساعدة أيضاً. ألم تكن الآنسة *جين* قد ذهبت سابقاً إلى المدينة وعلى الإطلاق؟"

" لا... على الإطلاق، سيدي."

"كم كان سنك عندما ذهبت إلى *لوود*؟"

" حوالي العاشرة."

" هذا يعني أنك الآن في الثامنة عشر. هل تجيدين العزف على البيانو؟

" قليلاً سيدي."

" هذه هي الإجابة التقليدية . دعني أسمع عزفك."

وكان بعد أن عزفت قليلاً قد صاح:

" هذا يكفي . أنت كما أرى تجيدين العزف ولكن قليلاً فقط."

ثم كان بعد أن وجّه إلي المزيد من الأسئلة وبعد أن اطلع على بعض اللوحات التي رسمتها قد همهم قائلاً:

" أعتقد بأنك كنت سعيدة عندما رسمت هذه اللوحات."

ثم نظر فجأة إلى ساعته وقال :

" الساعة الحادية عشر ! كيف حدث أن تكون *أديل* مستيقظة إلى هذه الساعة المتأخرة؟ عمتم مساءً."

الفصل السابع

السيد روشستر يتعامل معي بأسلوب ودّي

كنت في صباح اليوم التالي قد قلت للسيدة *فيرفاكس*: "يبدو لي السيد *روشستر* غريب الأطوار بعض الشيء.."

و أجابتني " ذلك لأنك حكمت عليه وفق أسلوب تصرفه. لاشكّ أنه غريب الأطوار بعض الشيء لكن ذلك لأنه كان قد عانى من الكثير من المشاكل العائلية. كانت لديه في البداية خلافات بينه وبين والده وشقيقه الأكبر سناً.، ليست لدي فكرة واضحة عن الأمر لكن الموضوع كما أعتقد يتعلق بالمال . كان السيد *روشستر* قد حصل على مبلغ كبير من المال بعد وفاة شقيقه واعتاد منذ ذلك الحين على عدم البقاء في *ثورنفيلد* أكثر من خمسة عشر يوماً فهو لا يحب هذا المكان."

"لماذا؟"

" أعتقد بأنه يجد المكان هادئاً جداً."

كنت متأكدة من أن الإجابة لم تكن تكشف عن كل الحقيقة ،لكنني شعرت حينذاك بأن السيدة *فيرفاكس* قد بدأت تشعر بالحرج من أسئلتي، لذا توقفت عن طرح المزيد من الأسئلة.

كنت بعد ذلك أجتمع كل ليلة بالسيد *روشستر* في موعد تناول الشاي . كان صندوق الهدايا قد وصل ذات يوم مما جعل *أديل* تطير فرحاً وتركض بكل بهجة وهي تصيح " ها قد وصل صندوق هداياي..."

مما جعل كل من *أديل* والسيدة *فيرفاكس* تنشغلا بذلك طوال اليوم. كنت قد لاحظت بأن السيد *روشستر* كان أيضاً في غاية البهجة، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة جعلته يبدو أقل صرامة.، وكان عندما لاحظ بأنني كنت أنظر إليه لبضع دقائق قد قال:

" حسناً، مار أيك آنسة جين هل تجدينني وسيماً؟ "

لو كان لدي ما يكفي من وقت كي أفكر بما سأجيبه لكنت سأجيبه بأكثر من اللباقة والتهذيب، لكن ما حدث هو أنني كنت قد أجبت دون تفكير " لا، سيدي!."

قال " بحق الله، أنت تبدين صغيرة وبسيطة لكنك مع ذلك أجبتني بهذه الطريقة الصريحة. ما الذي تعنيه بذلك؟ "

" أعتذر سيدي. كان علي بالأحرى أن أقول بأن الأذواق تختلف من شخص لآخر أو بأن الجمال ليس من الأمور ذات الأهمية."

كنت متأكدة بأن البعض قد يجدونه قبيحاً، لكنه كان يبدو قوياً وفخوراً بنفسه لذا استأنف حديثه بأن قال:

" أريد أن أكون ودوداً معك هذه الليلة، وبأن أعرف المزيد عنك."

أجبته " سيدي، أنا على استعداد على أن أكون وسيلة تسلية بالنسبة إليك، لكنني لست أعلم ما هي الأمور التي تهتم بها، لذا كل ما عليك هو أن تطرح علي الأسئلة وسوف أجيبك عليها."

"حسناً، فلنبدأ إذن ، هذا لو وافقت على أن لي الحق بأن أتصرف معك بأسلوب ربّ العمل خاصة وأنني في سن تُؤهلني لأن أكون والداك، كما أن لدي الكثير من التجربة لأنني تجولت كثيراً في هذا العالم بينما عشت أنت طوال حياتك في مكان واحد؟"

"فلتفعل ما يحلو لك، سيدي."

" أنت بذلك لم تجيبني فهذه ليست إجابة. عليك أن تجيبي بشكل واضح."

"سيدي، لا أعتقد بأن لك الحق بأن تأمرني لأنك فقط أكبر سناً مني، أو لأنك كنت قد سافرت وزرت الكثير من البلدان."

همهم السيد *روشستر* ثم قال:

" فإذن هل ستتلقين أوامري دون أن يتسبب ذلك بجرح مشاعرك؟"

كنت قد ابتسمت، لأنه كان على ما يبدو قد نسيّ بأنه خصص لي راتباً قدره ثلاثين جنيهاً في العام لذا كان عليّ أن أطيعه وقلت:

" أنا أوافق سيدي لأنك تزعج نفسك بالتفكير فيما إذا كان كلامك قد يجرح مشاعري."

" هل ستوافقين على أن أتحدث إليك دون التقيد بآداب السلوك ودون أن تعتقدي بأنني أتصرف تجاهك بقلّة تهذيب؟"

كان بعد أن أعلمته بموافقتي على ذلك قد ظلّ صامتاً لبعض الوقت ثم تابع حديثه بالقول:

" أنا من الأشخاص غير الكاملين ... ولكن كان علي أن أكون كذلك... كان علي أن أكون مختلفاً، لكنني أتمنى لو أنني كنت أنعم بما لديك أنت من راحة نفسية

يا صغيرتي... لابد أن لديك بعض الذكريات التي من شأنها أن تجعلك تشعرين بالبهجة والسعادة"

أجبته " ألم تكن لديك مثل هذه الذكريات عندما كنت في الثامنة عشر سيدي ؟"

" عندما كنت في الثامنة عشر كنت مثلك . كان ذلك طبيعياً ، لكن ثقي بكلامي آنسة جين بأنني على الرغم من أنني لست من الأشخاص الطيبين الأسوياء ، فأنا لست رجلاً فاسداً أيضاً . هل تتساءلين لم أتحدث إليك بهذا الشكل ؟ هذا لأنك تستمعين إلي بكل طيبة قلب وباهتمام."

" كيف بإمكانك أن تعرف ذلك؟"

" أنا أعرف ذلك جيداً وأشعر بأن بإمكاني أن أتحدث إليك بكل حريّة ... حسناً ، كنت من سنوات قد عانيت من أمر سيء جداً وهو ما جعلني أرتكب الكثير من الأخطاء لكي أنسى ما حدث لي لكنني الآن أعاني ن الندم ..."

" لكن بإمكانك أن تتغيّر سيدي."

"قد يكون بإمكاني ذلك، وقد يكون بإمكاني أيضاً أن أعيش بأسلوب مختلف لكن هناك ما سيمنعني من ذلك .. لن يكون بإمكاني على الإطلاق أن حصل على السعادة،، ومع ذلك ... فمن حقي أن أحصل ولو على القليل من السعادة... ومن حقي أن أستمع ولو قليلاً بحياتي... ولابدّ أن سوف أحصل على ذلك وبأي ثمن..."

الفصل الثامن

هناك من يحاول قتل السيد روشستر

مرّ أسبوعان كان السيد *روشستر* قد تعامل معي خلالهما بالكثير من العطف . كنا نتحدث معاً كل ليلة وهو ما جعلني أشعر بالفخر ... كنت فخورة بنفسي بأن تكون لدي إمكانية جلب اهتمام الشخص الذي أعمل مربية لابنته ، وبأن تكون لدي القدرة على تسليته... وكنت في غاية السعادة لأنني كنت أحصل أيضاً على معارف جديدة .، وهو ما جعلني أصبح بوضع صحي وبوضع نفسي أفضل...

وذات ليلة بعد مرور ثمانية أسابيع على وجود السيد *روشستر* في *ثورنفيلد* ، وبينما كنت مستلقية في فراشي في حالة ما بين اليوم واليقظة، أفكر بالهدوء الذي سوف يسود هذا المكان عندما سيغادره السيد *روشستر* .، نهضت فجأة إثر سماعي لضجة كبيرة. جلست في فراشي وأصغيت، وخُيل إلي بأنني أسمع صوت ضحكة هستيرية وبأن هناك من لمس مِقبض مفتاح غرفتي مُحاولاً فتحها.، تلا ذلك صوت فتح وإغلاق أحد الأبواب ثم ساد السكون من جديد..

لم يعد بإمكاني الانتظار أكثر من ذلك، ارتديت ملابسي بسرعة وفتحت باب غرفتي وإذا بي أفاجأ بأن المكان بكامله كان عبقاً برائحة غريبة ، وبأن تلك الرائحة لم تكن رائحة سجائر وإنما كانت رائحة حريق وبأنها كانت تنفذ من باب غرفة السيد *روشستر*.

لم أفكر حينذاك لا بالسيدة *فيرفاكس* ولا بتلك الرائحة الغريبة ولا بتلك الأصوات التي سمعتها منذ لحظة ، وإنما كان ما فعلته أن خرجت من الباب بسرعة في وسط الدخان واللهب وركضت إلى غرفة السيد *روشستر* الذي كان مستغرقاً بنوم عميق وسط ذلك الدخان. صرخت وأخذت أهزّه بشدة وأنا أقول: " سيد *روشستر*، استيقظ ... استيقظ ... لكنه كان مستغرقاً في نومه... وبذلك أسرعت إلى إناء الماء الذي كان إلى جانب سريره وسكبته فوق السرير المحترق ثم عدت مُسرعة إلى غرفتي لجلب المزيد من الماء وسكبته عليه من جديد.

وكنت بذلك بعون الله قد نجحت في إخماد النار...

كان الماء الذي سكبته على السيد *روشستر* قد أيقظه أخيراً .سمعته يشتم عندما وجد نفسه في حوض من الماء ثم صاح في وسط الدخان:

" ما الأمر ؟ ما هذا ؟..."

أجبت " كان هناك حريق في غرفتك "

سأل" أهذه أنت ؟ ما الذي فعلته بي ؟ ما الذي فعلته هل كنت تحاولين إغراقي بالمياه ؟"

أجبت" يبدو أن أحدهم كان قد إحراق غرفتك، وعليك أن تتبين الأمر بأسرع ما يمكن."

ثم أعلمته بما حدث وبتلك الضحكة الغريبة التي سمعتها و بوقع الخطوات الذي تلا ذلك.
وكان قد أصغى إليه بصمت دون أن ينبث ببنت شفة. سألته بعد ذلك فيما إذا كان علي أن أستدعي السيد *فيرفاكس*، لكنه أجابني بسرعة:
" لا.. لا... لِم ستفعلين ذلك ؟لن يكون بإمكانها أن تفعل شيئاً . كل ما عليك الآن أن تبقي في مكانك لبضع دقائق ريثما أعود إليك. سوف أذهب لاستطلاع الأمر. لا تتركي مكانك ولا تستدعي أي شخص."
ثم ذهب . أصغيت ولم أسمع أي صوت إلى أن مرّ وقت طويل ولم يعد *السيد روشستر* كنت قد بدأت أشعر بالتعب وأنا في حالة الانتظار تلك، وبينما كنت على وشك المغادرة إذا بالسيد *روشستر* يعود بوجه شاحب كئيب ويقول:
" استطعت أن أتبيّن ما جرى. كنت قد أعلمتني بأنك سمعت صوت ضحكة أليس كذلك؟.. ألم تسمعي تلك الضحكة من قبل؟ "
" نعم سيدي . كنت قد سمعت مثل تلك الضحكة وكانت السيدة *فيرفاكس* قد أعلمتني بأن المرأة التي تضحك بتلك الطريقة تُدعى *غراس* وبأنها تعمل هنا في حياكة الملابس.
" هذا هو الأمر. إنها السيدة *غراس*. هي في الحقيقة امرأة غريبة الأطوار جداً، لكن عليك الآن ألا تعودي إلى التحدث عن هذا الأمر وألا تذكري أي شيء عنه للسيدة *فيرفاكس* ، وسوف أفسر لها الأمر بنفسي لاحقاً."

السيد روشستر يشكرني لإنقاذ حياته

وكان السيد روشستر بعد ذلك قد تناول يدي الاثنتين وقال " دعيني أصافحك فقد أنقذت حياتي من موت مُحقّق كان سيقضي علي بطريقة رهيبة وليس بإمكاني أن أضيف شيئاً ... أنا أشكرك الآن على الرغم من أنني لا أحب أن أدين لأحد بأي فضل ، لكن يسعدني أن أدين لك أنت *جين* بإنقاذ حياتي ".
ثم توقف عن الكلام وقال " ليلة سعيدة *جين*."
وكنت قد أجبته " سيدي، لا داع لأن تشكرني فأنت لا تدين لي بأي شيء."
لكنه قال من جديد " لقد أدركت منذ المرّة الأولى التي قابلتك بها بأنك سوف تجلبين لي الخير. كانت الابتسامة التي رأيتها على وجهك قد جعلتني أشعر بالبهجة والتفاؤل..."
أجبت " أنا سعيدة لأنني كنت مستيقظة أثناء وقوع الحادث."
إلى قال أخيراً " ماذا؟ هل ستتركينني هنا لكي أشعر بالبرد ما دمت تقفين هنا أمامي . اذهبي الآن إلى غرفتك "

وكنت بذلك قد عدت إلى غرفتي لكن لم يكن بإمكاني بالطبع أن استسلم للنوم على الإطلاق ...

الفصل التاسع

السيد روشستر يُغادر ثورنفيلد

كنت في اليوم التالي قد نهضت من سريري مع بزوغ الفجر. كنت أود وأتطلع إلى الاجتماع بالسيد روشستر ، لكنني كنت بذات الوقت أخشى ذلك.

كنت أود سماع صوته وكنت أنتظر دخوله غرفة الجلوس في أية لحظة، لكن فترة الصباح مرّت بكاملها دون أن يحدث ما انتظرت حدوثه .، إلى أن كنت وأنا أتوجه إلى غرفتي بعد ذلك قد وجدت باب غرفته مفتوحاً على مصراعيه . كان السرير بدون ملاءات وكانت هناك امرأة جالسة إلى جانب النافذة منهمكة بحياكة بعض الملاءات الجديدة، ولم تكن تلك المرأة سوى السيدة *غراس بول ...*

كنت قد دهشت جداً برؤيتها هناك فلم يكن يبدو على وجهها ما يشير إلى ذلك الحقد الذي كان قد جعلها من بضع ساعات تحاول قتل سيدها السيد *روشستر*، وبأنها قالت لي بهدوئها المعتاد:

"عمت صباحاً آنسة جين."

ثم حلّ المساء ولم أر السيد *روشستر* إلى أن قالت السيدة *فيرفاكس* أثناء تناولنا الشاي في غرفتها :

" اتصل بي السيد *روشستر* منذ قليل وأعلمني بأن رحلته كانت موفقة."

سألتها باستغراب" رحلته ؟ هل غادر السيد *روشستر ثورنفيلد؟..*"

أجابتني " نعم، لقد غادر بعد تناول الإفطار ."

سألتها بلهفة " وهل سيعود هذه الليلة؟"

وأجابت " لا..؟ لن يعود لا هذه الليلة ولا ليلة الغد أو الليلة بعدها، فسوف يتغيب لمدة أسبوع أو أسبوعين على ما يبدو . ذهب إلى منزل السيد *ايتشن* الذي يقع على بعد عشرة أميال عن *مبلكون*. هناك حفل يقام هناك سوف يتواجد فيه العديد من عَلية القوم ومنهم السيد *انغرام* والسيد جورج *ليسن* والكولونيل *دينت* .

سألتها" هل ستتواجد بعض السيدات أيضاً في ذلك الحفل ؟"

" نعم بالطبع، سوف تتواجد في الحفل كل من السيدة *إيلتون* وابنتها وكذلك الليدي *انغرام* وابنتها *بلانش* وهي شابة في غاية الجمال تثير حولها بالطبع الكثير من الإعجاب بذلك الشعر الأسود الطويل وبعينيها الوديعتين ولون بشرتها الناصعة البياض . كنت ذات مرة قد رأيتها ذات مرّة في إحدى المناسبات . هي بالفعل رائعة الجمال. كانت في تلك المناسبة ترتدي ثوباً أصفر اللون وقد زينت رأسها بزهور صفراء، وهو اللون الذي يناسبها جداً. يقول البعض بأنها سوف تتزوج السيد *روشستر*."

وكانت السيدة *فيرفاكس* قد تحدثت مُطوّلاً عن جمال وعن فتنة الآنسة *بلانش انغرام* أثناء تناولنا الشاي معاً.

كنت عندما أصبحت بمفردي في غرفتي قد استعدت في ذهني ما سمعته منها عن الآنسة *انغرام* وبذلك أدركت بأنني لست سوى فتاة مخبولة وأخذت أحدث نفسي:

"*جين!* ما الذي دهاك ؟ هل اعتقدت بأن السيد *روشستر* سوف يُعجب بك أنت ! ... أنت الفتاة التي ليس لديها أية ميّزة أو أهمية !... أنت لست بالفعل سوى فتاة مخبولة عمياء! ... كيف جرؤت على ذلك ؟... انظري إلى نفسك في المرآة لكي تتذكري دوماً بأنك لست سوى مُدرّسة بسيطة فقيرة.، أما *بلانش* فهي كما وصفتها السيدة *فيرفاكس* شابة فاتنة ومن طبقة اجتماعية رفيعة..."

وكنت بعد أن أجريت المقارنة بين الصورتين: صورتي البائسة وصورة الآنسة *بلانش،* قد استطعت السيطرة تماماً على نفسي.، وهو الأمر الذي جعلني أتقبّل بعد ذلك ما تلا ذلك من أحداث بكل رضى وقناعة ....

السيد روشستر يصطحب أصدقائه إلى ثورنفيلد

بعد مرور مدة أسبوعين على تغيب السيد *روشستر* كان ساعي البريد قد أحضر للسيدة *فيرفاكس* رسالة من السيد *روشستر* . كانت يداي قد ارتجفتا وكدت أسكب نصف كوب القهوة على ملابسي ، عندما سمعتها تقول بعد أن قرأت ما ورد في الرسالة:

"حسناً . سوف يكون لدينا الآن الكثير مما علينا القيام به ، لأن السيد *روشستر* سوف يأتي بعد ثلاثة أيام بصحبة بعض الأصدقاء . لم يذكر في رسالته عدد الأشخاص الذين سيصطحبهم لكن تعليماته تُطالبنا باتخاذ كافة الترتيبات اللازمة لاستقبالهم على أحسن وجه، كما طلب منا أن نُعدّ كافة الغرف وبأن نستخدم المزيد من الخدم...

تلا ذلك ثلاثة أيام من الانشغال التام في *ثورنفيلد.* كنت قد ساعدت السيدة *فيرفاكس* بإعداد ما يلزم لاستقبال الضيوف ، وبذلك لم تكن *أديل* قد تلقت دروسها كالمعتاد. كنت منشغلة وسعيدة وكان الجميع كذلك ، بحيث لم يعد أي منا يُفكر بالسيدة *غراس* التي استمرت في طريقة حياتها المُعتادة وبما تقوم به من عمل حياكة الملابس.

كان شيء قد أصبح جاهزاً عندما حلّ يوم وصول السيد *روشستر* ورفاقه الذين كان وصولهم بعد غروب الشمس . صدحت الأصوات وملأت المكان كان السيد *روشستر* قد دخل مُتأبطاً ذراع الآنسة بلانش انغرام وكانت *أديل* تخرج وتدخل من غرفة لأخرى وهي تقول:

" ما أجمل هؤلاء السيدات!... أتمنى أن يطلب منا أبي الاجتماع بهنّ هذه الليلة."

وكانت السيدة *فيرفاكس* قد أبلغتنا لاحقاً بأن علينا أنا وأديل أن نذهب بعد تناولنا العشاء للاجتماع بالضيوف في غرفة الجلوس ،، وبذلك كنا قد توجهنا إلى غرفة الجلوس واتخذنا مكاننا فيها بينما كان حفل العشاء لايزال قائماً.



كانت *أديل* لدى دخول السيدات قد نهضت على الفور وذهبت للقائهن وهي في غاية البهجة، بينما بقيت جالسة في ركن ظليل بالقرب من النافذة بحيث لا يلتفت أحد إلى وجودي. كانت الآنسة *بلانش* بالتأكيد أجمل من تواجد من سيدات . كانت *أديل* بعد ذلك قد وجدت لنفسها مكاناً بين الآنستين *إيشلتون* *وانغرام*، وتلقّت منهما ما كانت ترغب به من اهتمام .

ثم لحق الرجال بالسيدات بعد أن تقديم القهوة وكان آخر من دخل الغرفة السيد *روشستر* . كنت قد حاولت أن أركّز اهتمامي على القطعة التي أطرّزها لكي لا تلتقي عيناي بعينيه .

كم كان قد بدا لي مختلفاً عن الوقت الذي كان فيه قد أمسك بيدي الاثنتين لكي يشكرني عندما أنقذته من ذلك الحريق !... كم كنا حينذاك قريبين !..

لم ينظر السيد *روشستر* قد نظر إلي وإنما وقف في الطرف الآخر من الغرفة إلى جانب الآنسة *انغرام.*

لم يكن وجه سيدي السيد *روشستر* وسيماً بتلك العينين العميقتين و بذلك الوجه المربّع الشكل وذلك الفم الصارم لكنني كنت قد أجده مع ذلك وسيماً . وعلى الرغم من أنني لم أكن أرغب بأن ينتهي بي الأمر بأن أقع في حبه، لكنني أدركت في تلك اللحظة بأنني كنت في الحقيقة قد أحببته ومنذ النظرة الأولى.

التقيت سيدي من جديد

كانت السيدة *فيرفاكس* قد أعلمتني سابقاً بأن لسيدي صوت جميل . طلبت منه الآنسة *بلانش* الانضمام إليها أثناء عزفها على البيانو، وكنت قد انتظرت إلى أن يُنهيا أغنيتهما معاً ، ثم وجدت بأن الوقت قد حان لانسحابي إلى غرفتي. توجهت إلى الباب الخلفي لكي لا ألفت نظر أحدهم إليّ،. وكنت وأنا في طريقي لعبور القاعة قد توقفت لكي أربط حذائي وإذا بي أسمع صوت فتح الباب، ثم دخل شخص إلى الغرفة في الوقت الذي كنت فيه أخرج فيه منها. كان ذلك الشخص هو السيد *روشستر.* توقف وقال لي:

" كيف حالك آنسة *جين*؟ "

أجبت " بخير سيدي."

سألني "لِم لم تأت للتحدث إلي في غرفة الجلوس ؟"

خطر ببالي حينذاك أن أوجّه إليه ذات السؤال لكنني التزمت الصمت، ثم سألني من جديد:

" كيف كنت تمضين وقتك منذ تركتك ؟"

أجبت بأكثر ما كان بإمكاني من هدوء :

" كنت أدرّس *أديل* كالعادة."

قال " لكنك تبدين اليوم أكثر شحوباً . ما الذي أصابك هل كنت مريضة؟ هل أصبت بنزلة برد بعد تلك الليلة التي كنت فيها قد حاولت إغراقي بالمياه؟"

" أجبت لا.. لا على الإطلاق، سيدي."

" قال من جديد" تبدين حزينة ما الأمر ؟ أعلميني جين ما الأمر؟"
أجبته باضطراب " لاشيء سيدي، لاشيء.."
ثم قال أخيراً " لو كان لدي المزيد من الوقت لكنت سأتبيّن حقيقة الأمر، لكن ليس بإمكاني التحدث إليك هنا. علي الذهاب إلى ضيوفي . أريدك أن تنضمي إلينا كل ليلة بعد العشاء طوال تواجد الضيوف هنا، والآن عِمت مساء."
وكان قد توقف قليلاً ونظر إلي من جديد بإمعان ثم تركني وغادر الغرفة.

الفصل العاشر

السيد ماسون يزور ثورنفيلد

كانت الأيام التي تلت من الأيام البهيجة المليئة بالمشاغل. كانت أصوات الضحكات المرحة تضج في المكان . موسيقى وألعاب وأحاديث ونقاشات ...

كنت قد أدركت بأنني أحببت السيد *روشستر* وبأنني لن أستطيع أن أمنع نفسي من ذلك ، على الرغم من أنني أدركت بأنه قد فُتن بالآنسة *بلانش* التي كانت بالفعل سيدة رائعة الجمال ومن طبقة اجتماعية رفيعة... ولكن وعلى الر غم من أنني كنت أعلم بأنه لن ينظر إلى فتاة فقيرة عادية مثلي إلا أن شعوراً داخلياً شبه مؤكّد كان قد تولد لدي بأنه لن يتزوج الآنسة *بلانش* . كانت الآنسة *بلانش* رائعة الجمال لكنها لم تكن ، كما يُقال امرأة واضحة ... كان تفكيرها محدوداً وكانت تبدو قاسية القلب . لم يكن لديها أي تعاطف تجاه الآخرين، كما كانت تكره الصغيرة *أديل* وتُبعدها عنها كلما حاولت الاقتراب منها...

كان السيد *روشستر* قد لاحظ كل ذلك دون شكّ، كما لاحظ أيضاً تلك الجوانب السلبية الأخرى من طباع الآنسة *بلانش* ...

كان ما جعلني أشعر بالغيظ أن يكون قد وهب محبته لإنسانة لا تعرف معنى الحب، لكنها مع ذلك كانت بالطبع كانت من طبقته الاجتماعية، وفي ذلك ما سوف يجعله يتزوجها لأسباب عائلية، وهي الأمور التي لم يكن بإمكاني أن أتفهمها لأنني لم أكن قد نشأت في كنف عائلة. ومع ذلك، كان بإمكاني أن ألحظ بكل وضوح بأن ذلك الاهتمام الكبير بها لم يكن بالحب...

ثم جاء ذات يوم إلى ثورنفيلد شخص غريب . كان السيد روشستر حينذاك خارج المنزل، وكنت بالصدفة أول من أعلم سيدي بقدوم ذلك الزائر حيث قلت:

" هناك زائر يُدعى *ماسون* بانتظارك سيدي ، وهو على ما يبدو رجل من مدينة اسبانية في جامايكا ."

قال سيدي بتوتر " أهو *ماسون* الهندي الشرقي؟"

وكان وجهه قد شحب .أمسك بيدي بقوّة وقال :

" هذه صفعة كبرى."

ارتمى على أحد المقاعد وهو لايزال مُمسكاً بيدي وهو ينظر إلي بعينين يبدو فيهما الاضطراب ثم قال:

"صديقتي العزيزة ! أتمنى لو كنت الآن معك في جزيرة هادئة بعيدة لكي أبعد عن جميع ما يُحيط بي من مخاطر ومن ذكريات مؤلمة."

سألته باستغراب " سيدي، هل هناك ما يمكن أن أقوم به لمساعدتك ؟ "

أجابني " *جين !* سوف ألجأ إليك عندما سأحتاج إلى مساعدتك . أعلميني ما الذي قد تفعلينه لو كرهني الجميع وابتعدوا عني؟ "

أجبته" سوف يسعدني البقاء إلى جانبك لكي أواسيك وأساعدك بكل إمكانياتي المتواضعة."
ثم قال " *جين* اذهبي الآن واطلبي من *ماسون* القدوم إلى هنا ولترافقيه بنفسك إلى هنا."
وكنت قد نفذت ما طلبه مني سيدي ثم تركتهما وذهبت إلى غرفتي.

يُحاول أحدهم قتل السيد ماسون

كنت في منتصف تلك الليلة قد استيقظت فجأة على صوت صرخة . يا إلهي، وأية صرخة !.. خرجت بسرعة من غرفتي لكي أتبين ما حدث . كان الصوت قد يأتي من الغرفة التي تقع فوق غرفتي تماماً، وبذلك كان بإمكاني أن أسمع صوت حركة ثم صوت يقول:
"النجدة ! النجدة! فليأت أحدكم لنجدتي! *روشستر* تعال لنجدتي بحق الله ! "
ثم سمعت وقع أقدام شخص كان يركض إلى جانب غرفتي . ارتديت ملابسي بسرعة وخرجت إلى الرواق كانت أبواب الغرف من جميع الجهات تُفتح وتُغلق وكانت الأصوات تقول " ما الذي يجري ؟ هل هناك حريق؟ أين السيد *روشستر*؟ أليس في غرفته ؟.."
ثم سمعت صوت سيدي من أخر الممر يقول:
" أنا هنا."
ثم قال أحدهم "ما الأمر؟ أعلمنا ما الذي يحدث هنا؟"
قال سيدي " لاشيء...لاشيء ... ثم أضاف بجهد: " يبدو أن إحدى الخادمات قد حلمت حلماً مزعجاً وهي امرأة مريضة . أيها السادة عودوا من فضلكم إلى غرفكم لكي تحذوا السيدات حذوكم."
وكنت قد عدت إلى غرفتي لكي أرتدي باقي ملابسي وإذا بي أسمع طرقة خفيفة على الباب، ثم تلا ذلك صوت سيدي يقول " *جين*، هل أنت مستيقظة ؟"
" نعم سيدي."
" اخرجي بسرعة ."
وعندما خرجت من غرفتي ولحقت به قال:
" تعالي معي وحاولي ألا تُحدثي أية ضجة."
وكان ونحن نتوجّه معاً عبر الممر إلى الطابق العلوي قد سألني " هل يُخفيك منظر الدماء؟ "
أجبت " لست أعتقد ذلك. على كافة الأحوال لم يسبق لي أن تعرّضت لمثل هذا الأمر."
وكان قد أدار المفتاح في أحد الأبواب وفتح الغرفة ، وهي الغرفة التي سبق وأطلعتني عليها السيدة *فيرفاكس* .

كان في ركن من الغرفة باب سمعت من خلاله صوت يشبه صوت حيوان تم حبسه في قفص. وكنت عندما دخل السيد *روشستر* إلى الغرفة ، قد سمعت من جديد صوت تلك الضحكة الجنونية... كانت تلك إذن *غراس بول!..*

عاد سيدي أدراجه إليّ وقال:

"تعالي إلى هنا *جين* "

دخلت الغرفة شاهدت وإذا بي أشاهد السيد *ماسون* مُمدداً على سرير واسع كان في ركن من الغرفة ، وبأن كانت الملاءات مُبللة بكاملها بالدماء.

قال له السيد *روشستر* :

" لابأس ! لابأس لا تخف أيها الرجل ... ليس هناك ما هو خطير ... سوف أستدعي الطبيب على الفور..."

ثم التفت إلي وقال:

" *جين*، سوف أتركك هنا لساعتين ريثما أعود مع الطبيب . لو وجدته متعباً جداً ، أعطه بعض الماء والملح."

ثم غادر الغرفة وتركني بمفردي مع ذلك الغريب الجريح. بدأت ارتجف لشدة الخوف وكنت أخشى أن تفتح *غراس* الباب وتدخل إلى الغرفة من جديد. كنت مُشوشة إلى حدّ كبير وكانت الأفكار تتضارب في ذهني وأنا أتساءل:

" ياإلهي ما هذا العمل الوحشي ؟ من بإمكانه أن يقوم بمثل هذا العمل الشنيع ؟ بأن يحاول قتل أحد البشر... كان ذلك قد تم قبل ذلك بمحاولة قتل السيد *روشستر* حرقاً ثم ها هو يحدث من جديد مع هذا الزائر الغريب ."

بدا لي وكأن الليل لن ينتهي أبداً... كان ذلك الرجل مُنهكاً جداً وكنت أخشى أن يموت ـ في الحقيقة لم تكن ساعتان قد مر بعد ساعتان على تغيب السيد *روشستر*، لكن كان قد خُيل إلي بأن ذلك كان لأكثر من أسبوع ـ إلى أن لاح ضوء مصباح ثم فتح الباب ودخل السيد *روشستر* برفقة الطبيب .

قال الطبيب لسيدي وهو يقوم بالإسعافات اللازمة للجريح:

" عليك الآن أن تنتقل السيد *ماسون* إلى الطابق السفلي، ثم التفت إلى ذلك الجريح وسأله " كيف تشعر الآن ؟"

أجاب السيد *ماسون* بوهن " كادت تقتلني ..."

قال الطبيب " هذا هراء، أترى ليس هناك أي خطر عليك."

ثم التفت إلى السيد *روشستر* وقال له بصوت خافت:

" لاشكّ أنه قد أصيب بجرح بليغ."

ثم قال *ماسون* من جديد :

" كان ذلك رهيباً... كما أنها عضتني أيضاً عندما حاول السيد *روشستر* أخذ السكين منها."



حينئذ قال *السيد روشستر* :

" ألم أكن قد حذرتك من ذلك؟ لابأس... لابأس... سوف تعود الآن إلى بلدتك بسلام وأمان وسوف تنسى كل شيء عن هذا الموضوع .

أنهى الطبيب الإسعافات اللازمة للجريح، وكنت أثناء ذلك أساعده وأنفذ ما يطلبه مني.

وكان الطبيب بعد أن قام إسعاف السيد *ماسون* وساعده على ارتداء ملابسه قد قال لسيدي :

" *روشستر*، دعنا نساعده الآن معاً على النزول إلى الأسفل."

كانت الساعة حينذاك قد قاربت الخامسة والنصف صباحاً. وكان سيدي عندما كانت العربة ، التي كانت بانتظارهما أمام باب المنزل ،على وشك الانطلاق قد قال للطبيب:

" اعتن به جيداً، ولتدعه يبقى في منزلك إلى أن يُشفى تماماً. "

وكان السيد *ماسون* قد قال لسيدي قبل مغادرتهما: " أرجوك *روشستر*. أرجوك! أن تعتني بها."

وأجاب سيدي " أنا أفعل كل ما بوسعي... هذا ما كنت أفعله منذ سنوات وما سوف أفعله دوماً."

يطلب مني سيدي أن أؤدي له خدمة:

وكان السيد *روشستر* بعد مغادرة العربة قد التفت إلي وقال:

" *جين* ، فترافقيني الآن إلى مكان بإمكاننا أن نتحدث فيه على انفراد، وأن تستنشق بعض الهواء النقي . يبدو لي هذا المكان أشبه بسجن مظلم."

كنت قد أجبته " لكنني أجده بيتاً جميلاً."

لكنه أجابني " هذا لأن ليس بإمكانك أن تري ما بداخله... ولكن ها قد أصبحنا الآن في هذه الحديقة حيث يبدو كل شيء نقياً ومُمتعاً."

ثم بدأنا نمشي بين صفوف الأشجار المثمرة والأزهار اليانعة التي كان عبيرها يملأ المكان . كان سيدي قد نظر إلي مُطوّلاً بعد ذلك ثم قطف إحدى الورود وناولها لي وقال:

" تبدين شاحبة *جين* هل شعرت بالخوف؟"

أجبته " كنت أخشى أن يدخل أي شخص إلى الغرفة أثناء غيابك."

وأجاب " كنت قد أقفلت الباب من الخارج وبذلك كنت أعلم بأنك آمنة تماماً."

سألته بحياء " هل ستستمر السيدة *غراس بول* بالعيش في منزلك؟"

وكانت إجابته " *جين!* أبعديها الآن عن أفكارك. بإمكاني أن أتولى أمرها بنفسي وبالشكل المناسب. اجلسي هنا ."

وكان بعد أن جلسنا معاً على أحد مقاعد حديقة المنزل قد تناول يدي وقال :

"*جين!* أريد الآن أن أروي لك قصة:

"لنفترض أنك لست طفلة صغيرة وإنما فتى مُتمرد في بلد غريب، وبأنك كنت قد ارتكبت خطأ كبيراً وخطيراً... خطأ سوف يلاحقك طوال حياتك وسوف يُحول مجرى حياتك بكاملها ويقبلها رأساً على عقب .... لكن تذكّري بأن ما أقصده هو أن كنتما ارتكبته لم يكن جرماً وإنما كان خطأ... ولنفترض بأنه لم يعد بإمكانك مع مرور الوقت الاستمرار في تحمّل نتيجة ذلك الخطأ طوال حياتك ، وبأنك لا تحملين في ذاكرتك سوى ذكريات بغيضة متعبة،. وبأنك تحاولين الهرب والنجاة من كل ذلك بأن تُغرقي نفسك في مباهج وملذات الحياة الدنيوية لكي تنزعي ذلك الأسى من روحك ومن مشاعرك... لكنك كنت بعد ذلك قد تعبت من كل تلك المباهج وعدت إلى موطنك وأنت كسيرة الفؤاد، وإذا بك تقابلين شخصاً غريباً يتحلّى بجميع الصفات التي كنت تبحثين عنها طوال السنوات الماضية،. وهو ما جعلك تشعرين بأنك قد أصبحت بوضع أفضل، وبأن روحك قد أصبحت أكثر نقاء،، وما جعلك ترغبين البدء بحياة جديدة... نعم جعلك ترغبين البدء بحياة أفضل... لكن المؤسف أن يكون عليك، لكي تتمكني من أن تفعلي ذلك، أن تخالفي القانون... وإلا فسوف يكون عليك إن امتثلت لحكم القانون أن تُكرّسي حياتك لأجل شخص لا يستحق حتى تقديرك... شخص كانت الحياة كانت قد وضعته بالصدفة في طريقك فما الذي ستفعلينه حينذاك؟؟؟..."

ثم انتظر إجابتي ،. لكن لم يكن بإمكاني أن أقول شيئاً.

وبذلك كان قد تابع حديثه بالقول:

" هل من العدل أن يكون على رجل، يملأ قلبه الحزن والأسف على ما ارتكبه في الماضي، أن يخضع إلى ما يحكم عليه المجتمع؟"

كنت حينئذ قد أجبته أخيراً :

" سيدي! على الشخص الذي تتحدث عنه، مهما كان ما ارتكبه من أخطاء، أن يُناشد العون ممن هو أرفع من البشر بأن يطلب العون والإرشاد من الله تعالى..."

قال " آه ...*جين!* ذلك الشخص هو أنا !... كنت ضائعاً كنت رجلاً ضائعاً... وقد وجدت الآن من بإمكانها أن تُرشدني وتقودني إلى حياة أكثر نقاء وسعادة ."

وكان أسلوبه في التحدث إلي قد تغير كلياً وأضاف بصوت خافت:

" هل تعتقدين بأن الآنسة *غراس انغرام* ."

وكان بعد أن وقف وأخذ يمشي قليلاً بعيداً عني، قد استدار إلي وقال:

" تبدين شاحبة جداً *جين* ، وهذا بالطبع سبب ما جرى من أحداث هذه الليلة ." ثم سألني " هل أنت غاضبة مني؟"

وأجبته لا سيدي ،على الإطلاق ."

"فإذاً دعينا نتصافح. ثم التفت وقال:

" يا الهي! هاهم ضيوفي قادمون. استيقظ الجميع على ما يبدو . عودي الآن إلى المنزل وسوف أستقبلهم ."

و كنت وأنا في طريقي إلى غرفتي قد سمعته يقول:

" عِمتم صباحاً ! غادر السيد *ماسون* في الساعة الرابعة من صباح اليوم وكنت قد استيقظت وودعته..."

الفصل الحادي عشر

أستعيد ذكريات طفولتي في غيتسهيد

كانت زوجة خالي بعد بضعة أيام من مغادرة السيد *ماسون* قد أرسلت بطلبي . أعلمتني بأنها مريضة على فراش الموت وبأن هناك ما تريد أن تبوح لي به قبل رحيلها عن العالم ... وكان السيد *روشستر* بعد أن وافق على ذهابي إليها لمدة أسبوع قد سألني :

" من الذي سيرافقك إلى *غيتسهيد؟* فليس بإمكانك السفر لمسافة تبعد آلاف الأميال بمفردك ."

وأجبته " لن أسافر بمفردي سيدي .لقد أوفدت زوجة عمي أحد الخدم لديها لمرافقتي."

ثم سألني من جديد وهو يبتسم :

"لكن لابد أنك سوف تحتاجين إلى بعض المال. ما هو المبلغ الذي ما تمتلكينه في هذا العالم؟."

أجبته" خمسة شلنات سيدي."

قدم إلي ورقة مالية بخمسين جنيهاً، لكنني أعلمته بأن كل ما يدين لي به هو خمسة عشر جنيهاً وبأن ليس لدي من مال سائل يُمكنّني من إعادة باقي المبلغ إليه.

وقال حينئذ " لست أطلب منك إعادة باقي المبلغ إليّ. " ثم أضاف " في الواقع ، قد يكون من الأفضل ألا أمنحك كل هذا المبلغ لأنك بمثل هذا المبلغ قد تمكثين هناك لثلاثة أشهر، لذا سوف أمنحك عشرة جنيهات فقط لكي تعودي بسرعة."

" أجبته " سيدي، أنت بذلك تدين لي بذلك بخمسة جنيهات."

قال" لذا عليك أن تعودي لأجل ذلك. سوف أحتفظ بها لك معي."

ثم قلت " سيد *روشستر*، بودي أن أتحدث إليك حول أمر آخر أيضاً ."

" أمر آخر ! ماهو هذا الأمر ؟"

" بما أنك تفكر بالزواج فسوف يكون على *أديل* بالطبع أن تلتحق بإحدى المدارس ؟"

" وماذا عنك؟"

" سوف يكون علي أن أبحث عن عمل في مكان آخر."

وكان قد حدّق في وجهي لبعض الوقت ثم قال:

" أعدك بأن أجد لك عملاً أخراً بنفسي ... عديني بأن تثقي بي. نعم ، سوف أجده لك مع الوقت."

" سيكون ذلك من دواعي سروري سيدي."

" هل ستغادرين غداً؟"

"نعم ، وفي الصباح الباكر."

" دعينا إذن نقول إلى اللقاء."

"إلى اللقاء سيد *روشستر*!"

كنت وأنا في طريق رحلتي إلى *غيتسهيد* ، أستعيد في ذهني ذكريات طفولتي البائسة في ذلك المكان، وتلك المعاملة القاسية التي لقيتها من زوجة خالي *ريد* . لم يكن بإمكاني أن أتذكر شكلها تماماً لكنني كنت بالتأكيد أعلم بأن خالي شقيق والدتي كان قد أخذني إلى منزله بعد وفاة والدتي وأنا لاأزال طفلة صغيرة يتيمة الأبوين، وبأنه عندما كان على فراش الموت كان قد طلب من زوجته رعايتي. ربما كانت زوجة خالي قد اعتقدت بأنها حافظت على وعدها له،

لكن ذلك كان بقدر ما سمحت لها به طباعها السيئة القاسية... لكن الحقيقة أنه لم يكن هناك قطّ من كان يرغب بوجودي في *غيتسهيد*... كنت لاشيء بالنسبة إليهم ،، ولم يكن أي من أولاد خالي قد قدم إلي من المحبة ما يجعلني أحبهم أنا أيضاً... ها هي زوجة خالي اليوم وهي على فراش الموت قد أرسلت في طلبي دون أن أدري لماذا فعلت ذلك .

وصلت على *غيتسهيد* في الخامسة صباحاً، كانت في استقبالي الخادمة بيسي التي تذكرتها جيداً وعلى الفور ،، وكنت وأنا انظر إليها تُقدم إلي الشاي قد استعدت في ذهني جميع الذكريات المؤلمة للفترة التي أمضيتها في ذلك المنزل.

زوجة خالي تُطلعني على الرسالة التي كانت قد وصلتها من عمي في ماديرا:

كان قد مرّ على وجودي يومان إلى أن تمكنت زوجة خالي المريضة من التعرّف إلي. سألت " أهذه هي *جين*؟"

أجبتها " نعم! وأنا هنا لأنك طلبت حضوري إليك ".

حينئذ قالت "*جين*! أنا مريضة جداً .هل الممرضة هنا ؟ أودّ أن أتحدث إليك على انفراد."

وكانت بعد أن أصبحنا بمفردنا قد قالت :

" *جين* ! أريد أن اعترف لك بأنني كنت قد أسأت إليك كثيراً . نعم ! كنت قد فعلت ذلك ... طلبت حضورك الآن لأنني أردت أن أراك بأن أراك لكي أعتذر لك ... أنا آسفة جداً لأنني أسأت إليك مرتين . كانت الأولى عندما نكثت بوعدي لزوجي بأن أرعاك وبأن أعتبرك مثل أولادي أما المرة الثانية فكانت عندما ..."

وكانت قد حاولت التحرك من الفراش لكنها لم تتمكن من ذلك ، وبذلك قالت من جديد :

" *جين*! هناك رسالة في ذلك الدرج ، خذيها واقرئيها."

كنت قد فعلت ما طلبته مني وبدأت بقراءة تلك الرسالة التي كانت تتضمن ما يلي:

"سيدتي! أرجو منك التلطف بإعلامي فيما إذا كان بإمكاني معرفة المكان الذي تُقيم فيه حالياً ابنة أخي *جين إير*، لأنني ارغب بأن تأتي للعيش معي في ماديرا .ليس لدي أولاد وأود أن أرعاها بأن أمنحها منزلاً تُقيم فيه برفقتي ،كما أن في نيتي أن أوصي لها بكل ما أمتلكه وبكل ثروتي بعد وفاتي."

المخلص...

كانت تلك الرسالة مؤرخة بتاريخ من ثلاث سنوات سابقة.

سألتها " لم لم تعلميني بذلك في حينه ؟"

كانت قد أجابت " ذلك لأنني كنت أكرهك وأكره أن أراك سعيدة تعيشين في مكان أفضل، و أن تحصلي على حياة أفضل... كنت عندما كنت طفلة قد قلت لي ذات يوم بأنك تكرهينني ، ولم يكن بإمكاني أن أنسى ذلك . أعطني بعض الماء من فضلك ."

وكنت قد أجبتها حينذاك :

" سيدتي، لم يعد لهذه الرسالة الآن أية قيمة أو أية فائدة بالنسبة إلي . سامحيني لأنني قلت لك ذات يوم وأنا لاأزال طفلة ، بأنني أكرهك. كان ذلك نتيجة ردّة فعل غاضبة من طفلة، وقد مرّ على ذلك أكثر من تسع سنوات."

قالت " لكنني لم أتمكن من نسيان ذلك ، لذا قلت لعمك بأن *جين إير* قد توفيت. فلتأخذي الرسالة الآن ولتفعلي بها ما يحلو لك بها ولكن أرجو أن تسامحيني هذا لو كان بإمكانك ذلك ."

قلت لها بأن بإمكانها أن تحبني أو تكرهني كما تشاء ،لكنني مع ذلك سوف أسامحها الآن وبأن عليها أن تطلب أيضاً من الله تعالى أن يسامحها .."

وكانت تلك المرأة البائسة قد توفيت في ذات الليلة.

الفصل الثاني عشر

عودتي إلى ثورنفيلد

كنت بعد عودتي إلى *ثورنفيلد* قد علمت من الآنسة *فيرفاكس* بأن السيد *روشستر* قد غادرها إلى لندن لإعداد التحضيرات اللازمة لزواجه، وبأنها كانت متأكدة بأن من اختارها زوجة له هي الآنسة *بلانش انغرام*.

كانت السيدة *فيرفاكس وأديل* قد استقبلتاني بكثير من المودة . حتى أن الخدم كانوا قد استقبلوني بابتسامة ترحيب لطيفة .، وبذلك كان من الممتع جداً أن أجد نفسي مُحاطة بمحبة كل من حولي، وبأن أشعر بأنهم جميعاً يرغبون بوجودي إلى جانبهم، وهذا ما جعلني أتناسى بأنه سوف يكون علي مغادرة ذلك المنزل عما قريب..

سألت السيدة *فيرفاكس* بعد ذلك عما آلت إليه ترتيبات زواج السيد *روشستر* لكن لم تكن لديها أية معلومات عن الموضوع.، وكان ما قالته بأنها عندما سألت السيد *روشستر* عن الموضوع ،كان كل ما فعله أنه ضحك ولم يُجبها .، لكن ما تعرفه هو أنه لم يكن قد ذهب ثانية لرؤية الآنسة *انغرام* التي لا يُبعد مكان إقامتها أكثر من ثمانية أميال عن *ثورنفيلد* ...

كنت بذلك قد بدأت آمل بألا يتم ذلك الزواج.، لأن السيد *روشستر* كان بعد عودته وفي الفترة الأخيرة يطلب الاجتماع بي أكثر مما كان يفعل سابقاً، كما كان أكثر طيبةً في تعامله معي، وهو ما جعلني بكل أسف أتعلق به أكثر فأكثر...

كنت ذات ليلة من ليالي الصيف الحارة قد خرجت بعد غروب الشمس إلى الحديقة لكي أستنشق بعض الهواء النقي.، وبينما كنت أتجول في ممرات الحديقة وأستنشق عبير الزهور شممت رائحة أعرفها جيداً ،كانت تلك رائحة دخان الغليون الذي من عادة السيد *روشستر* أن يدخنه كل مساء.، وبذلك أدركت بأنه كان أيضاً يتجول في الحديقة ، لذا حاولت الانسحاب بسرعة قبل أن يراني، لكنه كان قد ناداني على الفور وقال:

"من المؤسف أن يبقى المرء وحيداً في المنزل في مثل هذه الليلة الرائعة أليس كذلك؟"

وبذلك لم يكن بإمكاني أن أجد لنفسي عذراً للانسحاب على الرغم من أنني لم أكن أرغب بالتجوّل في الحديقة مع السيد *روشستر* وفي مثل تلك الساعة المتأخرة .، لكن السيد *روشستر* لم يكن على ما يبدو قد شعر بأي حرج من ذلك.، لذا شعرت بالحياء مما جال في ذهني من شكوك ...

بدأنا نتجول معاً إلى أن وجدنا مكاناً مناسباً جلسنا فيه. حينئذ قال لي السيد *روشستر*:

" أرى بأنك تحبين *ثورنفيلد* كما أنك تحبين كل من ابنتي أديل والسيدة *فيرفاكس*."

وأجبته " هذا صحيح سيدي."

" وسوف تأسفين عندما سيكون عليك أن تغادري هذا المكان وأن تتركيهما"

" بالفعل سيدي، سوف أفتقدهم كثيراً."

" أنا في غاية الأسف لذلك جين. ربما كان عليك ألا تغادري *ثورنفيلد* . ولكن عليك مع الأسف أن تفعلي ذلك."

شعرت حينذاك وكأنني قد تلقيت صدمة لكنني تمالكت نفسي وقلت:

"حسنا سيدي ،سوف أكون على استعداد لذلك عندما سيحين الوقت."

استأنف حديث بالقول " نعم، وقد آن الأوان الليلة لكي أعلمك بذلك :

" أجبت " إذن كان ما سمعته صحيحاً . سوف تتزوج عما قريب."

" تماماً... هذا صحيح قد أتزوج من الآنسة *انغرام*."

أجبته " أعتقد بأنك كنت قد أعلمتني بذلك وبأنه سوف يكون علي وكذلك على *أديل* أن نغادر *ثورنفيلد*."

قال من جديد "آمل الزواج منها الشهر القادم لكن لا تقلقي وجدت مكاناً مناسباً لك في ايرلندة أتمنى أن أرسلك إليه."

قلت " لكن مثل ذلك المكان بعيد جداً سيدي ! هو بعيد جداً عن انكلترا وعن *ثورنفيلد* وعن... "

" حسناً وعن...؟؟"

" وعنك أيضاً سيدي." وكانت دموعي قد بدأت تنساب على خدبي.

استأنف السيد *روشستر* حديثه بالقول:

" حسناً، لكنني أعتقد بأنك لن تنسينني حتى لو أصبحت في مكان بعيد جداً عني."

وكنت قد أجبته " هذا ما لن أفعله أبداً سيدي."

لكن ما حدث هو أنه لم يعد بإمكاني أن أستمر في الحديث لكثرة ما كنت فيه من انفعال ووجدت نفسي أقول دون أن أشعر:

" أتمنى لو أنني لم أكن قد خلقت."

كان لدي الكثير مما كنت أود أن أقوله لكنني تمالكت نفسي وقلت أخيراً:

" لقد أحببت هذا المكان وعشت فيه حياة سعيدة... كنت قد تحرّرت فيه من الماضي ... كنت قد تعرفت عليك... ومع ذلك فأنا أدرك تماماً بأن علي أن أغادر هذا المكان عما قريب ، لكنني أشعر الآن وكأنني ذاهبة إلى الموت."

قال وهو يُحدّق في وجهي " فإذاً لم ترين بأنه سوف يكون عليك أن تتركيني؟"

" لأنك سوف تجلب زوجتك إلى هنا."

كانت قد لاحت على وجه علامات التصميم ثم قال:

" نعم سوف أفعل ذلك بالفعل... سوف أتخذ لنفسي زوجة."

" لذا علي أن أغادر *ثورنفيلد*."

" لا..لا.. إنما عليك البقاء هنا."

كنت قد شعرت بغضب شديد وبذلك نهضت مسرعة وقلت:

" أعلمتك بأن علي أن أغادر... هل تعتقد بأن بإمكاني أن أبقى هنا وأن أكون لاشيء بالنسبة إليك ؟... هل تعتقد بأنني لست سوى آلة؟ أنا أيضاً إنسانة لديها مشاعر و أحاسيس ... هل تعتقد بأنني أفتقر إلى المشاعر لأنني خلقت فقيرة ولأنني لست جميلة جداً ؟ لو كان الله تعالى قد أنعم علي بالجمال والمال لكان من الصعب عليك أنت أيضاً أن تتركني كما سوف يصعب علي الآن أن أفارقك... هي روحي التي تخاطب روحك ونحن جميعاً متساوون أمام الله تعالى.."

كان السيد *روشستر* قد أمسك بيدي الاثنتين ثم ردّد العبارة التي قلتها:

" نعم نحن متساوون أمام الله تعالى."

لكنني صحت" دعني أذهب... دعني أذهب !... دعني أذهب إلى أي مكان..."

" إلى أين ستذهبين *جين*؟ إلى إير لنده؟"

"نعم إلى إيرلنده وإلى أي مكان. لا فارق لدي الآن بعد أن اضطررتني لأن أفضي إليك بما في قلبي ."

قال" *جين* ! أصغي إلي ، أنا الآن أعرض عليك بيتي وقلبي وحياتي."

أجبت " لابدّ أنك لا تعي ما تقوله الآن."أ

وكان قد كرّر ما قاله " أنا أطلب إليك البقاء إلى جانبي... أنا أطلب منك أن تُمضي حياتك معي... أريدك أن تكوني إلى جانبي على الدوام ...أنت مضطربة كما أرى. دعيني أشرح لك الأمر. أريدك أنت تكوني أنت زوجتي... فهل تقبلين الزواج مني؟."

لم أجبه فلم يكن بإمكاني أن أصدق ما يقوله.

وبذلك سألني " *جين*! هل تشكين بما أقول؟ *جين*! أنت من أحببتها ! أريدك أن تعلمي بأنني عندما أعلمت الآنسة *انغرام* بأنني فقدت ثروتي، تبين لي بأن ما كانت تريده هو ثروتي فقط ،. لذا فانا لا أريد الزواج منها وأرجو أن تقبليني زوجاً لك."

كنت قد بدأت أصدقه لكنني قلت:

" أنا؟... أنا؟... هل تريد الزواج مني أنا؟... أنا الفتاة الفقيرة التي ليس لديها في هذا العالم أي أصدقاء ولا أية أموال تقدمها إليك سوى بعض المال الذي منحته أنت لي لقاء خدماتي؟..."

قال" *جين*! أرجوك أن توافقي على عرضي بسرعة."

وكنت عندما نظرت إلى وجهه قد شعرت بأنه كان صادقاً مُتلهّفاً لموافقتي وبذلك سألته من جديد:

" سيدي، هل ترغب بالفعل أن أكون زوجتك؟"

أجاب " هذا ما أرغب به بالفعل وهذا ما أعرضه عليك بكل صدق."

قلت " فإذاً أنا أوافق على الزواج منك ."

وقال بحنان بالغ " فلتجعلي مني رجلاً سعيداً وسوف أجعلك سعيدة، وأرجو ألا تدعي أي شيء يفرق بيننا."
كنت قد أجبته " أنت تعلم بأنه ليس لدي أحد في هذا العالم وبأنه ليس لدي من قد يفعل ذلك."
وكان ما تمتم به السيد *روشستر* لنفسه حينذاك: "فليسامحني الله ،فأنا قد وجدتها بدون أهل أو أصدقاء لكنني أعاهد الله بأنني سوف أحبها وسوف أحميها وليكن الله في عوني بأن أحقق ذلك... ليسامحني الله..."
كنت حينذاك في غاية السعادة، لذا لم أكن قد فهمت معنى ما قاله...

الفصل الثالث عشر

ترتيبات زواجي

كان من المقرر أن يتم زواجنا خلال شهر ، وكنت قد استطعت إقناع السيد *روشستر* بأن أستمر خلال تلك الفترة بتدريس *أديل* طوال اليوم على أن أجتمع به في المساء فقط. كما كنت قد كتبت رسالة إلى عمي في ماديرا أعلمته فيها بأنني سوف أتزوج...

كان كل شيء قد أصبح جاهزاً لحفل الزفاف الذي كان من المفترض أن يتم في الساعة الثامنة من مساء اليوم التالي.

كنت قد أعددت حقائبي وكان السيد *روشستر* قد كتب على كل منها عنوان الفندق الذي سنذهب إليه في لندن كما كان ثوب الزفاف مع الوشاح قد أصبح جاهزاً في غرفتي...

كان السيد *روشستر* صباح اليوم الذي سبق موعد الزفاف، قد ذهب لاستكمال بعض التحضيرات الأخيرة قبل مغادرتنا *ثورنفيلد* إلى لندن ،. وكنت قد انتظرته إلى وقت متأخر من تلك الليلة مما جعلني أقلق.

ثم بدأت هواجسي تُحدثني بأن شيئاً ما قد حدث. لم أكن قد أطلعت أحد على هواجسي تلك لكنني كنت مضطربة جداً بحيث لم يكن بإمكاني البقاء في المنزل. وبذلك كنت عندما أعلنت الساعة العاشرة مساء قد وجدت بأن من الأفضل أن أخرج إلى الحديقة لاستقبال السيد *روشستر* أمام المنزل ، بحيث يكون بإمكاني مشاهدته عندما سيصل . كنت أحدث نفسي بلهفة:

" ياإلهي كم أتمنى أن يعود بسرعة !.."

خرجت من غرفتي وتوجهت إلى مدخل المنزل وقفت هناك إلى مرّ وقت طويل قبل أن أسمع وقع حوافر فرسه. كان عندما شاهدني عن بعد على ضوء القمر الذي كان ساطعاً تلك الليلة قد هتف:

"أترين كيف أنه ليس بإمكانك العيش بدوني ! أعطني يدك لكي أترجّل عن الفرس . كنت قد أسرعت إليه لكنه جعلني أصعد إلى ظهر الفرس إلى جانبه ،. ثم سألني:

" ما الذي هناك جين هل هناك ما يزعجك ؟"

أجبته " لا .. لم يعد هناك الآن ما يُزعجني... لم أعد تعيسة أو خائفة بعد عودتك."

ثم كان بعد تناولنا العشاء معاً، وعندما أصبحنا بمفردنا قد سألني :

" هل أصبح كل شيء جاهزاً لحفل الغد؟

" نعم أصبح كل شيء جاهزاً سيدي ."

" وقد قد انتهيت أنا أيضاً من إعداد جميع الترتيبات . سوف نغادر *ثورنفيلد* غداً بعد عودتنا من الكنيسة بنصف ساعة."

قلت "أتمنى أن تحلّ تلك الساعة فمن يدري ما الذي قد يحدث."

وبذلك سألني " ما الذي تخشينه *جين*؟ أعلميني ".

حينئذ طنت قد رويت له ما رأيته ليلة الأمس وأنا في حالة ما بين النوم واليقظة. قلت:

"أصغ إلي سيدي، أشعر وكأنني حلمت ليلة الأمس بالتالي:

" عندما كنت أنت في الأمس لاتزال خارج المنزل ، كنت أنا أيضاً منشغلة طوال اليوم بإعداد بعض الترتيبات . كنت أفكر بالحياة السعيدة التي سأمضيها مع الرجل الذي أحببته ،. إلى أن طلبت مني *صوفي* أن أذهب إليها لتجربة ثوب الزفاف الذي أرسلته إلي .

كم تمنيت حينذاك لو أنك كنت معي لأن هذا المكان يبدو موحشاً بدونك،. كما أن الليلة كانت ليلة مظلمة موحشة... ذهبت بعد ذلك إلى غرفتي لكي أنام ، لكنني حلمت بأن فناء *ثورنفيلد* احترق بالكامل، وبأنك كنت في خطر ، وبأنني كنت أبحث عنك وأنا أركض من هنا إلى هناك دون جدوى إلى أن سقطت أرضاً وكنت بذلك قد استيقظت ."

" قال أهذا كل ما يقلقك ؟ "

" لا ... لكن هناك ما حدث بعد ذلك هو أنني عندما استيقظت وقع نظري على ضوء الغرفة على شكل لشخص كان في غرفتي ، ثم سمعت صوتاً غريباً . كان هناك من يقف إلى جانب الباب . سألت أهذه أنت *صوفي*؟ لم يجبنِ أحد ،.

لكن كان هناك من يقف أمام المرآة ويتفحص ثوب الزفاف . نهضت وجلست في سريري وأنا ارتجف وقد هرب الدم من عروقي لكن ذلك الشخص لم يكن *صوفي* ولا السيد *فيرفاكس* ولا حتى *السيدة غراس بول*."

قال " لابد أنها كانت إحداهن."

" لا سيدي، كانت امرأة ضخمة القامة ذات شعر أسود طويل كثيف يتدلى على ظهرها بالكامل."

" هل رأيت وجهها؟"

" لم أكن بإمكاني أن أتبيّنه في البداية ، لكن تلك المرأة كانت قد تناولت الوشاح ووضعته على رأسها ثم نظرت إلى نفسها في المرآة ،. وكنت بذلك قد رأيت وجهها وعينيها الحمراوين. كان ذلك رهيباً..."

سألني بوجوم " و ما الذي فعلته تلك المرأة بعد ذلك؟"

" نزعت الوشاح من على رأسها ثم مزقته إرباً ورمته على الأرض ثم اقتربت من سريري وهي تحمل المصباح وقربته من وجهي... ويبدو أنني كنت حينئذ قد غبت عن الوعي لشدة الخوف وبذلك لم أعد أذكر شيئاً مما حدث بعد ذلك.. أرجوك سيدي ! أريدك أن تُعلمني من كانت تلك المرأة؟"

وكان قد أجابني " اهدئي عزيزتي . لابدّ أنه كان ذلك حلماً لا أكثر."

قلت " لا سيدي. لم يكن حلماً ... فلازال الوشاح ممزقاً ومرمياً على أرض الغرفة، "

وكان السيد *روشستر* قد أحاطني بذراعيه وهو يقول: "اهدئي الآن *جين* .. اهدئي... "

لكنني شعرت بأن يديه كانتا ترتعشان ثم قال من جديد:
" الحمد لله على أنك بخير ... لابد أنها *غراس بول...* سوف أعلمك لاحقاً، ربما بعد مرور عام على زواجنا لِم لازلت أستبقيها في منزلي... عليك الآن الذهاب للنوم... لتنامي هذه الليلة في غرفة *أديل* فهذا أفضل من نومك في غرفتك بمفردك."
وأجبته " سوف يسعدني ذلك."
ثم قال " ليلة سعيدة *جين.* حاولي ألا تحلمي من جديد بما هو مخيف أو بما هو محزن، وإنما بالسعادة التي سوف يجلبها لك الغد."
لكنني لم أكن تلك الليلة قد حلمت لا بالسعادة ولا بالحزن لأنني لم أكن قد تمكنت من النوم على الإطلاق، وكنت قد نهضت من فراشي مع شروق الشمس.

الفصل الرابع عشر

يوم زفافي

كانت *صوفي* قد أتت إلى غرفتي منذ الساعة السابعة صباحاً لكي تساعدني بارتداء ملابسي. كانت تفعل ذلك بأناة بينما كان السيد *روشستر* على عجلة من أمره مما جعله يناديني من الطابق السفلي وعندما أسرعت إليه قال لي:

"لِمَ كل هذا التأخير ؟؟ عليك أن تكوني جاهزة خلال عشر دقائق "

كان بعد أن طلب حضور العربة كما أرسل بطلب *الكاهن السيد مود* الذي كان من المفترض أن يعقد قراننا في الكنيسة القريبة من المنزل قد سألني:

" هل أنت جاهزة؟"

كنت عندما نهضت قد أمسك بيدي ثم توجهنا بسرعة نحو الكنيسة . لكنه عندما وجدني متعبة كان قد توقف قليلاً أمام سور الكنيسة قبل دخولنا إليها لكي آخذ قسطاً من الراحة . وكنت قد شاهدت حينذاك شخصين غريبين بانتظارنا أمام الكنيسة...

كانت مراسم الزواج الاعتيادية قد بدأت بعد ذلك بأن قرأ الكاهن الكلمات التي تُتلى في مثل تلك المناسبات ثم قال:

" على أي شخص يجد بأن هناك ما يُخالف القانون في زواج هذين العروسين، أن يُعلن عن ذلك الآن. "

ثم انتظر قليلاً كالمعتاد ، وكنا قبل أن يرفع نظره عن السجل لكي يتابع الإجراءات، قد سمعنا فجأة من يقول بصوت مرتفع:

"نعم، هناك ما يمنع زواجهما ."

ساد صمت مُطبق لفترة طويلة جداً ، إلى أن قال السيد *روشستر* أخيراً للكاهن :

" استمر في الإجراءات."

لكن الكاهن قال" ليس بإمكاني الاستمرار في الإجراءات إلى أن أتأكد فيما إذا كان ما قاله هذا الشخص صحيحاً ."

حينئذ كان صاحب ذلك الصوت قد تحدث من جديد وقال:

" لايمكن لمثل هذا الزواج أن يتم ، وبإمكاني أن أقدم إليكم الدليل الذي يمنع ذلك ... *السيد روشستر* متزوج!..."

نظرت إلى سيدي الذي لم يكن قد استدار نحوي وجعلته ينظر إلي. كان وجهه قد فقد لونه لكنه كان هادئاً تماماً. أمسك بيدي بقوة ثم استدار نحو الشخص الذي كان قد أدلى بتلك المعلومات وقال " من أنت؟"

أجاب ذلك الغريب " أدعى *جوانا* وأنا محامي، *سيد روشستر* قلت للكاهن بأنك غير متزوج ، لكنني أريد أن أذكرك بأن لك زوجة وهي لاتزال على قيد الحياة ."

سأله سيدي " لم تقول هذا؟"

" لأن لدي هنا نسخة عن وثيقة الزواج مؤرخة منذ خمسة عشر عاماً . هذه الوثيقة تثبت زواجك من الآنسة *بيرتا ماسون* في جامايكا."

أجاب سيدي " لكن هذا لا يثبت بأن زوجتي لاتزال على قيد الحياة ، فكيف بإمكانك أن تؤكد ذلك ؟"

حينئذ قال الكاهن " سيد *ماسون* تقدّم من فضلك ."

كان السيد *روشستر* عندما سمع اسم السيد *ماسون* قد صرّ بشدة على أسنانه . شعرت بأن الغضب قد استولى عليه، ثم رفع ذراعه كما لو أنه على وشك ضرب السيد *ماسون* الذي كان قد اقترب منا .

سأل الكاهن" سيد *ماسون* ، هل أنت متأكد من أن زوجة السيد *روشستر* لاتزال على قيد الحياة؟"

قال السيد *ماسون* " نعم هي لاتزال على قيد الحياة وهي حالياً في *ثورنفيلد* وأنا شقيقها."

قال الكاهن باستغراب" أهي حقاً في *ثورنفيلد*؟ فأنا أعيش في هذه المنطقة منذ سنوات ولم يسبق أن سمعت من يذكر السيدة *روشستر*."

حينئذ صاح *السيد روشستر*:

" لا بالطبع ...لا ولن يسمع أحد باسمها فأنا أحرص على ألا يرتبط اسمها باسمي ."

ساد الصمت من جديد لبضع دقائق ، ثم تابع السيد *روشستر* حديثه بالقول:

" هذا يكفي ! دعونا نخرج من هذا المكان، فلن يكون هناك اليوم حفل زفاف. أنا حالياً في حالة من الغضب الشديد وأفضل من الشيطان بقليل ... لقد تم إفشال خطتي... ما قاله هذا الرجل صحيحاً. المرأة التي كنت قد تزوجتها منذ خمسة عشر عاماً لاتزال على قيد الحياة وهي في *ثورنفيلد* . أنت تقول بأنه لم يسبق أن سمع أحد باسمها على الإطلاق وهذا صحيح... لكنك ولابد قد سمعت بامرأة مجنونة تعيش في *ثورنفيلد* أليس كذلك ؟ تلك المرأة هي زوجتي *بيرتا ماسون ... هي بيرتا* المجنونة.. كانت والدتها أيضاً مجنونة، وهذا ما علمته مع الأسف بعد زواجي منها... لايمكن أن أصف لكم مقدار ما عانيته مع تلك المرأة ، ولاكم كانت حياتي بائسة معها... كانت حياة رهيبة ... وأنا الآن ادعوكم جميعاً إلى منزلي لكي تشاهدوها بأعينكم، ولكي تتحدثوا مع الآنسة *غراس بول* ممرضة زوجتي تلك، وسوف تحكمون بأنفسكم فيما إذا كان لي الحق بأن أنسى مثل ذلك الزواج ... أما عن هذه الفتاة ، وكان قد بدأ يتحدث بهدوء، فهي لا تعرف شيئاً عن هذا السرّ الذي حرصت على إخفائه عنها. كانت تعتقد بأن كل شيء يتم وفق القانون ولم يخطر ببالها يوماً بأنها سوف تتزوج من رجل متزوج من امرأة مجنونة...امرأة ليست سوى عبارة عن وحش كاسر... تعالوا معي جميعكم لكي تشاهدوا كل شيء بأعينكم..."

وكنا قد خرجنا جميعاً من الكنيسة وتوجهنا نحو المنزل وهو لايزال ممسكاً بيدي بقوة .



الفصل الخامس عشر

السيد روشستر يُطلع الجميع على وضع زوجته

كنا عندما دخلنا إلى المنزل قد توجهنا على الفور إلى الطابق العلوي، وكان السيد *روشستر* لايزال مُمسكاً بيدي بقوة. عندما دخلنا الغرفة كان قد التفت إلى السيد *ماسون* وقال :

"*سيد ماسون* أنت تعرف هذا المكان أليس كذلك ؟ ألم تكن قد عضتك هنا وضربتك بالسكين ؟..".

ثم فتح الباب الداخلي حيث كانت السيدة *غراس بول* واقفة إلى جانب المدفأة. لم تكن هناك أية نافذة في تلك الغرفة وكان هناك فقط مصباح يتدلى من السقف . وكنا قد شاهدنا في الناحية الأخرى من الغرفة شكلاً لشخص كان يركض جيئة وذهاباً في الغرفة ،. ولم يكن بإمكان المرء أن يُميز فيما إذا كان ذلك الشكل شكل إنسان أم أنه شكل حيوان.

قال السيد *روشستر* " عِمت صباحاً سيدة *غراس* كيف حال مريضتك اليوم؟"

أجابت " هي اليوم أكثر اهتياجاً وعنفاً سيدي . وأنا أرى بأن من الأفضل لك أن تبتعد من هنا."

لكنه قال " لحظة واحدة سيدة *غراس*."

وكانت المرأة المجنونة قد ألقت نظرة متوحشة إلى الزائرين وهو ما جعلني اتذكر قد كل شيء... نعم، كنت قد تذكرت تماماً بأنني كنت قد رأيت ذلك الوجه المرعب سابقاً...

قال السيد *روشستر* " سوف ألتزم الحذر فأنا أرى بأنها تحمل سكيناً الآن."

وقالت السيدة *غراس* " ليس بإمكان أحد أن يعلم ما الذي تحمله معها."

قال السيد *ماسون* حينئذ " دعونا ننصرف."

وكانت السيدة *غراس بول* قد صاحت فجأة : " سيدي احترس... احترس سيدي..."

وكانت المرأة المجنونة في تلك اللحظة قد قفزت على سيدي وحاولت أن تعضّه...كان بإمكانه أن يضربها لكن ما فعله هو أنه حاول الإمساك بها إلى أن استطاع أن يشدّ وثاقها إلى أحد المقاعد بواسطة حبل ثم التفت إلينا وقال :

" هذه هي زوجتي ! هذه هي العناية... هذا هو الحب واللطف الذي ألقاه منها!..."

ثم وضع يده على ذراعي وقال:

" هذه هي الفتاة التي أرغب الزواج منها ، وعليكم أن تحكموا عليّ بما ترونه ، لكن لتنصرفوا الآن لأن علي أن أقفل الباب على هذا الكنز."

وكنا قد توجهنا جميعاً إلى الطابق السفلي . حينئذ تحدث إليّ المحامي قائلاً:

" سيدتي، هذا ما طلبه مني عمك. ليس على السيد *روشستر* أن يلومنا . من حسن الحظ أننا قد وصلنا في الوقت المناسب."

سألته باستغراب "عمي؟ ماذا عن عمي هل تعرفه؟"
أجابني " السيد *ماسون* هو من يعرفه . كان عمك عندما قرأ رسالتك بالصدفة بصحبة السيد *ماسون*. ، وعندما علم بأنك سوف تتزوجين من السيد *روشستر* أعلمه بأنه ذلك الشخص هو زوج ابنته، وبذلك أوفدني عمك بسرعة إلى انكلترا لكي أمنع مثل هذا الزواج المخالف للقانون ... لكن عمك مريض جداً الآن وليس من المتوقع أن تتحسن صحته، وإلا لكان قد طلب منك العودة إلى ماديرا برفقة السيد *ماسون* ،لذا فمن الأفضل بقاءك في انكلترا ريثما أطلع على آخر ما ستؤول إليه حالته الصحية . ثم التفت إلى السيد *ماسون* وقال:
"دعنا نغادر على الفور ، فلا حاجة لبقائي هنا بعد الآن."
وكان قد غادر *ثورنفيلد* حتى بدون أن ينتظر السيد *روشستر* بينما عدت أنا إلى غرفتي.
تساءلت حينئذ وأنا في حالة من اليأس الشديد :
"أين أصبحت الآن *يا جين* ؟ ... هل أنت *جين* التي كانت في الأمس تحلم بالسعادة؟... هل أنت *جين* التي كانت امرأة يملأ قلبها الأمل؟... فها قد أصبحت من جديد امرأة وحيدة باردة المشاعر..."
كنت قد أدركت بأنه لم يعد بإمكاني أن أفكر بمحبة ولا حتى بمساعدة السيد *روشستر*، وبأنه لم يعد بإمكاني أن أعود إليه على الإطلاق ...
ملأ قلبي القنوط وتمنيت الموت لكنني شعرت بأنه لازال لدي ملاذاً واحداً هو التوجه إلى الله تعالى وبذلك كنتقد ركعت وتفوهت بالكلمات التالية:
" أرجوك ياإلهي ألا تتخلى عني ... المشكلات تُحيط بي من كل جانب وليس لدي من ألجأ إليه لمساعدتي سواك..."

الفصل السادس عشر

السيد روشستر يحاول مواساتي

كان النهار قد انتصف عندما استطعت أن أرفع رأسي. تساءلت عما كان علي أن افعله ثم وردت إلى ذهني الإجابة التالية:

"عليك أن تغادري *ثورنفيلد* على الفور فأنت لست زوجة السيد *روشستر* ... نعم ، عليك أن تتركيه."

لكنني قلت من جديد " لكن هذا مستحيل فليس بإمكاني أن أفعل ذلك ..."

لكن صوتاً في داخلي كان يقول من جديد بأن علي أن أغادر وأن أتركه وبأن هذا هو ما عليّ أن أفعله رغم أنه ليس لدي في كل هذا العالم من يساعدني... كنت بذلك قد نهضت بسرعة وأنا لاأزال مُنهكة القوى ، فلم أكن قد تذوقت الطعام طوال اليوم . تذكرت بأنني وحيدة هنا وبأنه ليس هناك من جاء للسؤال عني حتى السيدة *فيرفاكس* ولا حتى *أديل* ...

لكنني عندما فتحت باب غرفتي كنت قد تعثرت وكدت أقع على الأرض، وإذا بيدٍ قوية تُمسك بذراعي. كانت تلك يدّ السيد *روشستر* الذي كان بانتظاري أمام باب الغرفة قال:

" ها قد خرجت أخيراً من غرفتك. انتظرتك لمدة طويلة . كنت قد تركتني وأنت دامعة العينين دون أن تتفوهي بكلمة واحدة... *جين!* لم أقصد جرح مشاعرك أو التسبب بإيذائك أرجوك أن تسامحيني..."

نعم أيها القارئ ! ... نعم !... كنت قد سامحته على الفور . كان هناك حزن عميق في نظرة عينيه ، وكان هناك ما يؤكد محبته لي... سامحته من كل جوارحي لكنني بقيت صامتة.

قال من جديد" *جين* ! أعلم بأنني تصرفت بشكل سيء جداً . قولي لي هذا ... عبّري عن غضبك مني... "

قلت " ليس بإمكاني ذلك فانا متعبة جداً ومريضة ... أريد فقط أن أشرب كأساً من الماء. ناولني بعض الماء أرجوك..."

ثم غبت عن الوعي وكنت عما عدت إلى حواسي وشعرت بأنني بوضع أفضل ، قد وجدت نفسي جالسة على أحد المقاعد في غرفة الجلوس وأمامي السيد *روشستر*. سألني على الفور:

" كيف تشعرين الآن جين؟"

" أفضل بكثير ...سوف أصبح بوضع أفضل..."

كان واقفاً أمامي تماماً لذا أدرت وجهي إلى الناحية الأخرى وأبعدت نظرته عني. قال من جديد :

" لابد أن قد أصبحت لديك الآن فكرة سيئة جداً عني... قد تعتقدين بأنني خططت للإساءة إلى كرامتك وشرفك. أنت لا تقولين شيئاً... أنت ترغبين بأن أنصرف..."

أجبته " سيدي، لست ارغب بالتصرف بما قد يسيء إليك."

" ليس بالطريقة التي تفكرين بها، لكنك تفكرين بأنني رجل متزوج، وبأن عليك أن تبتعدي عني. أنت تنوين قطع علاقتك بي وسوف تكونين مربية لأديل فقط وسوف تعتبرينني غريباً عنك. "

وكنت قد أجبته من جديد:

" سيدي ! تغير كل شيء بالنسبة إلي الآن ، وعلي أن أنا أيضاً أن أتغير... عليك أن تبحث عن مربية أخرى لأجل *أديل*."

قال" سوف يكون على *أديل* أن تذهب إلى المدرسة ، وسوف أصطحبك إلى مكان بعيد عن *ثورنفيلد* . كنت قد طلبت من الجميع ومن السيدة *غراس بول* الاحتفاظ سراً بأمر زوجتي المريضة لأنني كنت أخشى ألا تقبلي القدوم للعناية بأديل إن علمت بأن هناك امرأة مجنونة في المنزل، لكنني قررت الآن أن أغلق *ثورنفيلد* . سوف أدفع المال *لغراس بول* لكي تتولى رعاية مريضتها ولكي تمنعها من إحراق الأشخاص في أسرّتهم ومن قتلهم بالسكاكين..."

قلت " أنت تتكلم عنها بحقد سيدي ... ليست غلطتها ان تكون مجنونة ".

" أنت مخطئة جين لست أكرهها لأنها مجنونة لكنني لا أحبها . لم أكن سأكرهك حتى و كنت مجنونة. أنت كنزي! ... وحتى لو انفصلنا فسوف تبقين كذلك. *جين!* لن تجدي من سيحرص عليك ويرعاك مثلي. لكن لم نتحدث بهذه الطريقة ؟ أصبح كل شيء جاهزاً لسفرنا . سوف نمضي ليلة أخرى فقط هنا وسوف نودع الأحزان إلى الأبد."

سألته " هل ستصطحب *أديل* معك سيدي؟ "

سألني " ما الذي تعنيه ؟ أنت من سترافقينني وسوف تذهب أديل إلى المدرسة ."

وكنت قد هززت رأسي بالرفض.

قال من جديد" *جين!* أصغي إلي أرجوك."

كنت قد شعرت حينذاك وأنا أنظر إليه بأنني لن أستطيع مقاومته .كان قد أمسك بيدي ، لكن ما فعلته هو أنني تركت العنان لدموعي وأخذت أنتحب من كل جوارحي .

بدأ السيد روشستر يواسيني بهدوء وهو يقول:

" كفى جين ! كفى، جففي دموعك الآن"

ثم سألني" ألست تحبينني ؟"

وأجبته "نعم ، أنا أحبك أكثر من أي وقت مضى، لكنها المرة الأخيرة التي سوف تسمع مني ذلك."

"*المرة الأخيرة جين؟...*"

" نعم ، سيد *روشستر* . علي أن أتركك لأن زوجتك لاتزال على قيد الحياة ... سوف أرتكب إثماً لو أنني وافقت على السفر معك."

كان وجهه قد شحب ثم قال " لست مخبولاً . قلت لك أنا لست متزوجاً، وسأشرح ما أقصده بذلك. *جين!* لابد أنك سوف ترافقينني عندما ستعلمين بكل الأمر . سوف أروي لك الآن قصتي مع ذلك الزواج."

الفصل السابع عشر

السيد روشستر يروي لي قصة زواجه

"كان لدى والدي الكثير من الأموال لكنه كان يطمح دوماً إلى الحصول على المزيد . كان قد كتب كل ثروته باسم شقيقي الأكبر سناً. لكن عائلتي لم تكن ترغب بذات الوقت على أن أظل فقيراً ، وبذلك قامت بترتيب صفقة زواج لي من شانها أن تجعلني أحصل أنا أيضاً على الثروة...

كان لدى السيد *ماسون* الذي هو من أصدقاء والدي المقربين ابنة تمتلك ثلاثين ألف جنيه ، وبذلك اعتبر والدي بأن مثل ذلك المبلغ كافياً لكي يجعلني من الأثرياء ... وبذلك كان على الفور من إنهائي دراستي الثانوية ،قد أرسلني إلى جامايكا وأعلمني بأن لدى السيد *ماسون* ابنة تدعى *بيرتا ماسون* وبأنها فتاة جميلة جداً ـ وكان ذلك صحيحاً ـ وبأن

عائلتها تُرحب بزواجها مني وكنت قد فعلت ذلك...

لكن ما حدث هو أنني ،بحسب الأعراف المتبعة في جامايكا، لم أكن قد اجتمعت بعروسي بمفردي ، وإنما كان ذلك يتم دوماً بحضور الكثير من الأشخاص الآخرين الذين كانوا جميعاً من المعجبين بجمالها . كنت شاباً يافعاً حينذاك وبذلك خُيل إلي بأنني أحببتها ، كما أنني كنت من جهة أخرى على استعداد لإرضاء والدي ... كان الزواج قد تم بأسرع ما يمكن بحيث لم يكن بإمكاني أن أتبيّن حقيقة الأمر لأنني لم أكن قد عرفتها جيداً . لكنني بعد أن تزوجتها أدركت بأنها مجنونة فاقدة العقل تماماً، و بأن والدتها كانت قد توفيت أيضاً وهي فاقدة العقل.، وبأن شقيقها الأكبر سناً فاقد العقل أيضاً. وبأن والدي كان مع كل أسف على اطلاع على كل ذلك لكن ما يطمح إليه كان حصولي على ما تمتلكه تلك العائلة من ثروة ...

وبذلك كنت قد أدركت بالطبع بأن من المستحيل عليّ أن أعيش يوماً واحداً معها. كانت عنيفة الطباع، تُسيء إلى كل من حولها في المنزل ، ولم تكن تمتلك بأية محاكمة عقلانية ولا أية إمكانية للتفاهم ... والأسوأ من ذلك أن طباعها كانت قد بدأت وبسرعة تسوء أكثر فأكثر...

ثم توفي والدي بعد فترة قصيرة ،كما توفي شقيقي الأكبر سناً بعد مرور خمس سنوات من وفاة والدي، وهو الشقيق الذي كان قد ورث كل ما لدى والدي من أموال.، وكنت قد ورثت كل تلك الأموال وأصبحت ثرياً وثرياً جداً أيضاً..، ومع ذلك كنت لا أزال مرتبطاً بزوجة فاقدة العقل ذات طباع سيئة وشريرة جداً."

سألته " وما الذي فعلته عندما علمت بأنها فاقدة العقل؟"

" اضطررت للعيش معها رغم سوء طباعها، لكنني أدركت حينذاك، وأنا لاأزال شاباً لم يتجاوز الثامنة والعشرين، بأنني قد فقدت الأمل تماماً بشفائها وبأنه قد حكم علي بالعيش معها إلى أن تنتهي حياتي... كان ذلك ما جعلني أشعر بأن عليّ أن أحرّر نفسي من ذلك القيد بأية وسيلة حتى لو كان ذلك بإنهاء حياتي ،. لكنني عندما تناولت بندقيتي وكنت على وشك الانتحار، زال فجأة ذلك الشعور باليأس عن نفسي

وحلّت محله من جديد بارقة الأمل من أن بإمكاني أن أجد طريقة لإنهاء تلك المحنة وللاستمتاع بحياتي... وكنت بذلك قد اتخذت قراري بالعودة إلى انكلترا حيث بإمكاني أن أضع زوجتي هنا تحت الرعاية لكي تتلقى ما تحتاجه من عناية دون أن أعيش معها...

وبما بأنني لم أكن قد أعلمت أحداً بمن تكون، كما لم يكن والدي قد أعلم أحداً بزواجي لأنه كان قد أسف وشعر بالخجل من الدور الذي لعبه في حياتي لمجرد الحصول على المزيد من الثروة وكان بذلك قد حطم حياتي تماماً...

بذلك لم يعلم أحد هنا بأنني كنت قد تزوجت وبأن لدي زوجة تعيش في *ثورنفيلد* . كنت قد وضعتها تحت رعاية السيدة *غراس بول*، ترعاها جيّداً وتتولى مراقبتها لكي لا تتسبب بالأذى لأحد.، لكنها كما رأيت بنفسك استطاعت مع ذلك أن تهرب من رقابتها ثلاث مرات..."

السيد روشستر يسافر عبر العالم بحثاُ عن السعادة

سألته " وما الذي فعلته أنت بعد أن أحضرتها إلى انكلترا؟"

" كنت قد عزمت البحث عن المرأة التي سيكون بإمكاني أن أحبها ."

" ولكن كيف ذلك ولم يكن بإمكانك أن تتزوج ؟"

" كنت سأتزوج لأن علي أن أتزوج ، لكن لم يكن بنيتي أن أخدعك أنت بالذات *جين* كما فعلت... كنت أنوي إطلاع من أحبها على قصتي مع ذلك الزواج، وكنت على يقين بأنني لابد أن أعثر على المرأة التي ستتفهمني والتي ستقبل بي."

" وهل وجدتها حينذاك ؟"

" كنت ولمدة عشر سنوات أتنقّل من مدينة لأخرى لكن إقامتي كانت أكثر الأحيان في باريس . إلا أنني مع ذلك لم أعثر المرأة التي أحبها.، وكان فقداني الأمل في ذلك قد جعلني أصبح غير مبالٍ وبأن أعاشر العديد من النساء، وكانت والدة أديل إحداهن."

سادت فترة صمت قال بعدها:

" *جين!* أعتقد بأنك قد أصبحت تكرهينني وتعتبرينني شخصاً شريراً سيئاً جداً. أليس كذلك؟"

سألته " سيدي، ألم يخطر ببالك بأن من الإثم أن يعيش المرء بهذه الطريقة ؟"

"لم أكن أرغب بذلك ... وأنا الآن أكره حتى الرجوع إلى ذكريات تلك الأيام وإلى ذكرياتي مع أولائك النساء."

كنت قد شعرت بالصدق بما كان يقوله ، لكنني كنت بذات الوقت على يقين بأنه ليس بإمكاني على الإطلاق أن أتقبّل بأن أكون إحدى أولائك النساء، وإلا فسوف يأتي اليوم الذي سوف يكرهني فيه كما يفعل الآن بالنسبة لأولائك النساء.

تابع السيد *روشستر* حديثه بالقول:
" عندما عدت إلى انكلترا في ديسمبر (كانون الأول) الماضي كنت يائساً وقد فقدت كل ما لدي من أمل بالسعادة وبالراحة... إلى أن قابلت وأنا أسقط من فوق ظهر فرسي ذلك الشكل الصغير الذي وقف إلى جانبي...تلك الفتاة قد عرضت علي المساعدة ... كانت تلك الفتاة هي أنت *جين* ... أنت التي كنت ،عندما لمست ذراعي قد جعلتني أشعر على الفور بشيء لطيف يملأ روحي..."
" وكنت منذ ذلك الوقت قد بدأت أرقبك، وأنا أنتظر أن يحلّ المساء لكي أتحدث إليك . لم يكن وجهك في البداية يوحي إلي بالكثير من الأمل والبهجة، لكنني أدركت بعد ذلك بأن لك قلباً نقياً طيباً وبأن ما عانيت منه في حياتك قد جعلك حزينة بذلك الشكل، إلى أن بدأت مع الوقت أتعلق بك وأشعر بانك أدخلت السعادة إلى حياتي وبأن بإمكاني أن أدخل السعادة إلى حياتك..."
لكنني كنت قد أجبته بسرعة " سيدي، أرجو ألا تعود للتحدث عن تلك الأيام التي انقضت والتي لن تعود على الإطلاق ومهما كان ."
قال " *جين* ، لِم لا ؟ دعينا نتحدث عنها وعن المستقبل . كان من الخبل أن أقول لك بأن لدي زوجة عندما قرّرت الزواج منك ، لكن كان علي مع ذلك أن أعلمك بكل شيء وأن أدع نفسك النبيلة ترى الأمور على حقيقتها... نعم، كان علي أن أطلب منك أن تفهميني وأن تمنحيني ثقتك... *جين!* هل تَعيدني بذلك *الآن* ؟"
كانت تلك من أكثر اللحظات صعوبة في حياتي... كانت لحظات رهيبة لأنني كنت أحبه أكثر من أي شخص في هذا العالم، ولكن لم يكن بإمكاني أن أوافق على ما يطلبه مني ...
ثم قال من جديد" *جين* !عِديني... قولي بأنك لي ... قولي سوف أكون لك..."
لكنني ما قلته هو " سيد *روشستر* ، آسفة...آسفة ، فأنا لن أكون لك أبداً !..."
قال بيأس" *جين*، هل تقصدين بأنك سوف ترحلين وتتركيني. أنت لا تقصدين ذلك أليس كذلك؟" "
وأجبت " بل هذا ما أقصده تماماً سيدي."
قال من جديد " *جين* لكنك لا ترتكبين إثماً بحبك لي."
وأجبته " بل سوف يكون من الإثم أن أوافقك على ما تطلبه مني."
قال " *جين!* ما الذي سوف يتبقى لي في الحياة لو تخليت أنت عني؟ وما الذي سأفعله لو رحلت ؟ "
أجبته " سيدي، عليك أن تفعل ما سأفعله... عليك أن تنسى وأن تضع أملك بالله تعالى فقط."
لكن تلك الحجة العقلانية كانت مع ذلك قد بدأت تبدو لي أقل فعالية عندما استمر في حديثه. كان قلبي يحدثني "اذهبي إليه... فكّري بمقدار تعاسته... أنقذي حياته فمن الذي وفي كل هذا العالم سوف يهتم بما ستفعلينه ..."

لكن القرار كان قد جاء بعد ذلك . كان قراري واضحاً وبكل جلاء وبذلك حدثت نفسي:
" لا!.. ليس بإمكاني أن أفعل ذلك فأنا أحترم نفسي ، وحتى لو كان ما سأفعله سوف يجعلني وحيدة وبائسة لكنني بذلك سوف أحترم نفسي أكثر... سوف أحافظ على كرامتي وسوف ألتزم بتعاليم الدين وبقواعد القانون وبعرف البشر... سوف أتمسك بما أنا عليه طالما كان لدي عقل يُوازن الأمور... نعم، هذا ما سوف أفعله... *لم يتم سنّ القوانين والشرائع لكي نعمل بها في الأوقات التي لا يكون فيها لدى المرء ما يُغريه على ارتكاب الإثم والأخطاء، وإنما هي لمثل هذه المواقف، ولمثل هذه الأوقات التي يشعر بها المرء برغبة جامحة لمخالفتها جسداً وروحاً* ... وكل ما أرجوه هو أن يساعدني الله تعالى على أن أفعل ذلك..."
كان السيد *روشستر* قد قرأ على ملامح وجهي ما يدور في ذهني . وبذلك بدت عليه علامات الضيق الشديد وصاح :
" سوف ترحلين جين ... سوف تتركيني أليس كذلك؟"
وكنت قد أجبت " نعم."
قال من جديد " *جين!* فكّري بمقدار ما سأعانيه... اذهبي الآن إلى غرفتك لكي تُعيدي النظر بقرارك ،ولكي يكون بإمكانك إعادة النظر والتفكير بالأمر بهدوء مرات ومرات."
لكنني كنت قد غادرت الغرفة بسرعة وأنا أقول في الوقت الذي كان فيه قلبي يدمي:
"وداعاً... وداعاً ... والى الأبد!..."

الفصل الثامن عشر

أغادر ثورنفيلد وأعثر على عمل لدى السيدتين ماري و ديانا ريفرز

كنت منذ فجر اليوم التالي قد أنهيت حزم أمتعتي، حملت العشرين شلناً التي كانت كل ما امتلكه في هذا العالم وخرجت من *ثورنفيلد* دون أن أدع السيد *روشستر* أو غيره من المقيمين في المنزل يروني... مشيت على قدمي لعدة لأميال ثم توقفت في طريقي لكي أحصل على قسط من الراحة، وإذا بي أسمع صوت عجلات عربة وبذلك رفعت يدي وأشرت إليها . كنت عندما توقفت العربة قد أعطيت السائق العشرين شلناً التي أمتلكها وطلبت منه أن يصطحبني إلى المسافة التي يكفي لها ما منحته من مال...

كان المكان الذي أوصلني إليه يدعى *ويتكرافت*. وبذلك كنت قد وجدت نفسي من جديد على قدميّ. أخذت أهيم على وجهي لمدة يومين وأنا في غاية التعب والخوف . نمت في العراء تحت السماء إلى أن تماسكت قليلاً وقررت أن أبحث عن أي عمل.

وبذلك بدأت أسأل كل شخص أجده في طريقي عن عمل، لكن ذلك كان دون جدوى إلى أن بدأت أستجدي للحصول على الطعام ،. ولست أشعر اليوم على الإطلاق بالسرور وأنا أتذكر تلك الأيام العصيبة التي مررت بها.

لكنني آخر الأمر كنت قد وجدت من ساعدني. كان ذلك عندما كنت قد وقفت وأنا في غاية التعب أمام مدخل أحد المنازل خائرة القوى خائفة، ويبدو أنني كنت قد غبت عن الوعي إلى أن كانت تلك الأيادي الكريمة قد انتشلني واصطحبتني إلى ذلك المنزل النظيف...

كنت بعد تناولي بعض الطعام قد أصبحت بوضع أفضل بحيث أصبح بإمكاني أن أجيب على أول سؤال تم توجيهه إلي وهو:

" من أنت وما اسمك ؟ "

لكنني كنت قد أجبت بوهن بأن اسمي *جين إيليوت* فلم أكن أرغب بأن يعرف أحد اسمي الحقيقي ...

ثم أصبحت بعد ذلك الابنة المُتبناة للأختين *ماري وديانا ريفرز* وهما شقيقتان تقيمان في ذلك المكان الهادئ مع شقيق لهما يدعى *جون*.

لم أعد أذكر جيداً الآن تفاصيل الأيام الأولى التي أمضيتها هناك ، لكن ما أذكره تماماً بأنني كنت قد تلقيت منهما كل ما يلزم من رعاية طبية ومن عناية إلى أن استعدت صحتي وقواي...

وبأنني خلال تلك الأيام التي عشتها في كنفهم قد عرفت الكثير عن طيبة أصدقائي الجُدد... كما أنهم كانوا قد تعرّفوا علي بشكل أكبر وأبدوا استعدادهم لتقديم أية مساعدة ممكنة إليّ . وبذلك كان شقيقهم السيد *جون* قد عثر لي بعد ذلك على عمل ،. حيث كلفت بتدريس الأطفال الصغار السن في مدرسة القرية الصغيرة كما تم بذلك تم تأمين إقامتي في مبنى تلك المدرسة.

كنت قد رويت لأصدقائي قصتي ، لكنني لم أطلعهم على السبب الذي جعلني أغادر *ثورنفيلد* ، كما لم أكن قد أعلمتهم باسمي الحقيقي .
ومرّت الأشهر ... كنت خلالها أتذكر دوماً السيد *روشستر*، كما أتذكر في كثير من الأحيان ما قاله لي بأنني لن أجد قطّ من سيحبني أكثر مما يحبني .، وأتذكر كيف كان فخوراً بي، وهذا لم يفعله أي رجل آخر...
كنت أفكر بما كانت ستكون عليه حياتي لو أنني بقيت إلى جانبه، وأنظر إلى ما أصبحت عليه حياتي في الوقت الحاضر. كانت تلك الذكريات في البداية تتسبب لي بالكثير من التعاسة، كما كنت بذات الوقت
تعيسة بسبب تلك الأذهان المحدودة التي كان علي تدريسها ، إلى أن مرّ وقت لابأس به استطعت خلاله أن أتفهم طلابي تماماً. ، وأدرك بأن ذلك كان خطأ مني وبذلك بدأت أظهر لهم محبتي وهو ما جعلهم بدورهم يحبونني، وما جعلني أجد المزيد من المتعة والاهتمام بعملي الجديد...

تصلني أخبار من السيد بيركز

وكنت ذات يوم قد وجدت مفاجأة كبيرة بانتظاري ... كان السيد جون *ريفرز* وهو أحد الكهان في تلك القرية
قد استدعاني لكي يُطلعني على رسالة من السيد *بريكز* المحامي . أعلمني بأن ذلك المحامي يطلب منه في تلك الرسالة مساعدته في العثور على الآنسة *جين إير.* وكانت تلك الرسالة تحتوي على التفاصيل الكاملة لكل ما يتعلق بقصة حياتي وبالأحداث التي جرت في *ثورنفيلد...*
ثم قال لي السيد *ريفرز* وهو يطلعني على الرسالة
" أنا أعرف بالطبع الفتاة التي تُدعى *جين إيليوت* ، لكن لدي إحساس بأن *جين إيليوت* هي *جين إير* . وقد تأكدت من ذلك تماماً في الأمس."
ثم أطلعني على قصاصة ورق كان قد حصل عليها من محفظة أوراقي ... كانت قصاصة تلك الورقة موقّعة باسمي الحقيقي *جين إير* قد انتزعت من زاوية إحدى اللوحات ،التي كنت بعد أن رسمتها قد وضعت عليها التوقيع باسمي الحقيقي دون أن ألتفت إلى ذلك.
كنت حينذاك بعد أن علمت بأنه قد اطلع على كل ما جرى في *ثورنفيلد* قد سألته :
" ما دمت قد اطلعت على كامل الموضوع فهل بإمكانك إعلامي بما حلّ بالسيد *روشستر*؟ وما الذي يفعله الآن؟ هل هو بخير ؟"
أجابني " ليست لدي أية فكرة عن السيد *روشستر*. كل ما في الأمر أن المحامي قد أورد في رسالته تفاصيل ذلك المخطط الشيطاني الذي كان قد لجأ إليه لكي يتزوجك خلافا للقانون .."
سألته " لكن ربما كانت لدى السيد *بريكز* بعض المعلومات عنه. "
وكانت إجابته " لكنك لم تسأليني لِم كتب إليّ السيد بريكز هذه الرسالة ولِم يبحث عنك.."



" حسنا ،ماالذي يريده مني؟"

" لقد كتب إلي لكي يعلمني بأن عمك *جون إير* قد توفي في ماديرا وبأنه قبل وفاته قد أوصى لك بكامل ثروته... أنت الآن امرأة ثرية جداً *جين*. "

قلت باستغراب " أنا... أنا ثرية؟ "

" نعم وثرية جداً."

" كم تبلغ هذه الثروة؟"

" حوالي العشرين ألف جنيه."

كانت تلك الأنباء قد جعلتني أكاد أفقد سيطرتي على نفسي وأشعر بأن قلبي يكاد يتوقف ،قلت:

" هذا مبلغ كبير جداً ! هل أنت متأكد من أنه ليس هناك أي التباس بالموضوع ؟"

" نعم، ليس هناك أي خطأ أو التباس على الإطلاق."

" ولكن لِم كتب السيد *بريكز* إليك بالذات ؟"

" هذا لأنني الكاهن المسؤول في هذه المنطقة ومهمتي تقديم المساعدة في كافة المجالات."

الفصل التاسع عشر

هناك صوت يناديني

كنت بعد ذلك قد غادرت المدرسة وعدت للعيش في منزل أصدقائي عائلة *ريفرز* . كم كنت سعيدة بتقاسم ما ورثته من أموال معهم... وكم أسعدني أن أتمكن من أن أردّ إليهم بعض ما قدموه إلي من معونة مالية ومن رعاية ومحبة طوال الفترة الماضية.

ثم كان السيد *ريفرز* قد طلب مني بعد ذلك مرافقته إلى الهند لكي أعمل هناك مدرّسة للعلوم الدينية. تساءلت تلك الليلة عما ستكون عليه حياتي هناك ورجوت الله تعالى أن يُنير لي طريقي وأن يُرشدني إلى الصواب.

كنت قد أويت إلى فراشي في تلك الليلة بعد أن ذهب الجميع إلى غرفهم ،، كان المنزل بكامله هادئاً في وكان ضوء القمر يُنير غرفتي ،، لكنني شعرت فجأة بأن قلبي قد بدأ يخفق بشدة ثم تملكني شعور غريب جعلني أظلّ مستيقظة. خُيّل إلي بأنني أسمع صوتاً يناديني... لم يكن بإمكاني أن أشاهد شيئاً في ذلك الظلام لكنني سمعت ذلك الصوت يهتف إلي:

" جين ... جين...جين !..."

تساءلت عمن كان يناديني في الظلام، فلم يكن ذلك الصوت يصل إليّ من أي ركن في المنزل كما لم يكن يصل إليّ من الحديقة...

نعم !.. لم يكن ذلك الصوت يصل إلي عبر الأرض ولا من أعالي السماء، لكنني كنت قد سمعته. كنت قد سمعت ذلك النداء وكان ذلك كافياً...

كان ذلك صوت شخص أعرفه جيداً... صوت شخص أحبه جداً ... كان ذلك الصوت صوت سيدي *إدوار روشستر*... وكان يهتف إلي بألم ورجاء ... ووجدت نفسي أقول بصوت مرتفع:

" أنا قادمة إليك سيدي! انتظرني ... انتظرني فسوف آتي إليك."

وكنت قد توجهت نحو الباب ونظرت عبر الممر المظلم. وركضت عبر الحديقة لكن لم يكن هناك أحد... صحت:

" أين أنت سيدي ؟"

لكن كل شيء كان ساكناً من حولي. عدت إلى غرفتي، سجدت وبدأت أصلي،، وكنت عندما نهضت قد عقدت العزم على العودة إلى *ثورنفيلد*.

عندما طلع النهار قد نهضت من فراشي على الفور ، وكنت خلال ساعات قد أصبحت على استعداد تام للسفر. وكنت ونحن على مائدة الإفطار قد أعلمت صديقتي ماري وديانا بأنني قد عقدت العزم على السفر إلى *ثورنفيلد* لفترة وبأنني سوف أعود خلال بضعة أيام ...

زيارتي إلى ثورنفيلد

كان من السهل علي أن أجد عربة تُقلّني إلى *ثورنفيلد* . كنت خلال رحلتي أشعر بأن قلبي قد غمره السلام والسكينة ، لكنني عندما وصلت إلى أملاك سيدي في *ثورنفيلد* ، خطر ببالي بأنه قد يكون غائباً ، وبأنني لن أجرؤ على مقابلته ، وبأن من الأفضل لي أن أذهب إلى أحد الفنادق للاستفسار فيما إذا كان في *ثورنفيلد*.

كانت تلك فكرة صائبة لكنني لم أكن مع ذلك قد عملت بها ، وإنما كنت قد توجهت إلى *ثورنفيلد* مباشرة وأنا أسارع الخطى أحيانا وأركض في أحيان أخرى . كنت أجتاز الحقول والغابات المحيطة بها وأنا أحدث نفسي:

" سوف أذهب هكذا مشياً على الأقدام لكي أتمكن من النظر إلى نافذة سيدي عن بعد... ربما كان سيدي واقفاً هناك... آه... لو كان بإمكاني فقط أن أراه ولو لدقيقة واحدة !.."

مشيت إلى جانب جدار حديقة الفواكه ثم كنت قبل أن أصل إلى السياج قد اختبأت في ظلال الأشجار لكي يكون بإمكاني أن أشاهد المنزل بكامله دون أن يراني أحد . لكنني ويا للهول !.. فبدلاً من أشاهد ذلك المكان الجميل لم يكن ما شاهدته سوى بعض الركام الأسود... لم تعد هناك حاجة لأن أختبئ ، كان المنزل قد دُمّر بكامله ... لم يعد فيه شيء سوى جدرانه المُهدمة... كان يسود المكان سكون وظلام الموت وكانت الأحجار السوداء تشير إلى ما حدث. لابدّ أن المكان قد دُمّر بكامله بسبب حريق هائل ... لكن ما الذي حدث؟ وما هي الحقيقة ؟ وهل تم تدمير كل شيء في المنزل؟ ... كانت تدور في رأسي العديد من التساؤلات ولم يكن هناك من يُجيبني...

اطلعت على ما جرى وعن قصة الحريق المُدّمر

حدثت نفسي وأنا في طريق عودتي إلى الفندق :

" لابد أن هناك من يعرف الحقيقة ... لابد من أن أعثر على من يُجيبني !.."

وبذلك كنت بعد أن عدت إلى الفندق من جديد، قد سألت مدير الفندق عندما جلب لي الطعام:

" هل تعرف *ثورنفيلد؟*"

أجابني " نعم سيدتي ، كنت أحد الخدم الذين عملوا لدى السيد *روشستر* في الفترة الأخيرة أي قبل وفاته."

سألته تكاد أنفاسي تتوقف:

" هل توفي ؟؟"

أجابني " نعم ، لقد توفي السيد *روشستر* منذ مدة طويلة . أقصد السيد *إدوار روشستر* الأب ".

كانت تلك الكلمات قد طمأنتني قليلاً بأن سيدي لايزال على قيد الحياة.

سألته من جديد " هل السيد *روشستر* الابن في *ثورنفيلد* الآن ؟"
" لا، سيدتي لم يعد أحد يقطن ذلك المكان، فقد أصبح دماراً منذ احتراقه في الخريف الماضي... كانت النيران قد اشتعلت فيه في منتصف الليل وحوّلته إلى دمار... كان مشهداً رهيباً مريعاً ..."
سألت "ما الذي سبّب ذلك الحريق؟"
"أعتقد بأنك لست على علم بأن هناك سيدة فاقدة العقل في *ثورنفيلد*."
" كنت قد سمعت بما يشبه ذلك."
"حسنا ، لم يكن أحد يعلم بوجودها هناك ، كان السيد *روشستر* قد أحضرها من الخارج لكننا علمنا بوجودها بعد الأحداث الغريبة التي جرت في العام الماضي ، وبأنها كانت زوجة السيد *روشستر*. كان قد تم اكتشاف ذلك بطريقة غريبة ذلك لأن السيد *روشستر* كان قد أغرم بمربية ابنته واعتزم الزواج بها...."
قاطعته بالقول " بودي أن أعرف ما يتعلق بموضوع الحريق، وهل كانت تلك المرأة من فعلت ذلك؟"
" هذا هو الأمر سيدتي. من المؤكد أنها هي من فعلت ذلك."
" هل كان السيد *روشستر* في المنزل عندما حدث الحريق؟"
" نعم بالطبع، كان هناك بالفعل وكان قد أخرج جميع الخدم من المنزل بسلام ثم ذهب لإخراج زوجته التي كانت تقف على سطح المنزل وهي تلوّح بذراعيها وتصرخ.
رأيتها بنفسي عندما ذهب السيد *روشستر* إليها وأخذ يصرخ *بيرتا ... بيرتا* ! ،. لكنها عندما شاهدته صرخت ورمت بنفسها من السطح وتوفيت على الفور."
"هل توفيت على الفور من سقوطها ؟"
"نعم، لقد توفيت على الفور. كان ذلك رهيباً."
"هل مات أحد آخر ؟"
" لا ، لم يمت أي شخص آخر ، ولكن ربما كان من الأفضل للسيد *روشستر* أن يموت."
" ما الذي حدث له ؟ كنت قد أعلمتني بأنه على قيد الحياة؟"
"نعم، لكن يعتقد الكثيرون بأنه كان من الأفضل له أن يموت."
"لماذا ؟ وأين هو الآن ؟"
" أصيب بفقدان البصر ... نعم، وللأسف... أصبح الآن كفيفاً تماماً."
لدى سماعي ما قاله كدت أقع على الأرض، وكنت قد خشيت أيضاً أن يكون قد حدث له ما هو أسوأ من ذلك."
ثم تابع حديثه بالقول:
" كان ما حدث له بسبب طيبة قلبه... فلم يكن قد خرج من المنزل إلى أن تم إنقاذ جميع من فيه. كان لايزال على قيد الحياة عندما خرج أخيراً بعد أن قام بإنقاذ الجميع، ، لكنه أصيب بحروق شديدة، بذلك

فقد إحدى عينيه وإحدى يديه مما اضطر الأطباء لبتر يده. كما أنه ظلّ فاقد الوعي لمدة طويلة ولم يكن قادراً حتى على الحراك.

" وأين هو الآن؟ أين يُقيم ؟"

" علمت بأنه يُقيم حالياً في مزرعة تقع بمنطقة *فيرنديم* تبعد حوالي الثلاثين ميلاً عن هذا المكان ."

" ومن الذي يقيم معه ويرعاه؟"

" السيد جون العجوز وزوجته، فلم يعد يرغب بعد ذلك الحادث بأن يكون معه غيرهما ."

ثم سألته " هل لديك عربة؟"

" نعم سيدتي لدينا عربة جيدة ."

قلت على الفور " فإذن، لتطلب منهم اصطحابي على الفور إلى تلك المنطقة."

الفصل العشرين

أحمل كأس ماء إلى سيدي

كان الوقت قد تأخر عندما وصلت إلى *فيرنديم* ، لكنني كنت قد وصلت قبل أن يحلّ الظلام تماماً . كنت بعد أن قد سلكت طريقاً تمر بين الأشجار قد توجهت إلى منزل يقع في مكان مُنعزل ولايكاد يظهر لكثافة ما يُحيط به من أشجار . كانت جدرانه قديمة تُغطيها الأعشاب، وكان كل شيء هادئاً من حوله مما جعلني أتساءل "هل يمكن أن يكون هنا ما يشير إلى حياة ؟."

كان الباب الضيق لذلك المنزل مفتوحاً وإذا بي أشاهد من يخرج منه دون قبعة . كان ذلك الشخص يمدّ يده لكي يلمس قطرات المطر التي كانت قد بدأت تتساقط. نعم !.. كان ذلك الشخص البائس هو السيد *روشستر*...

وقفت دون حراك وأخذت أنظر إليه. كانت فرحتي برؤيته *ممزوجة* بالكثير من الألم و بكثير من الأسى .، وكان علي أن أمنع نفسي بصعوبة من الركض إليه. كان يمشي ببطء فوق العشب وهو يمدّ يده اليمنى أمامه بينما كانت يده اليسرى *مخفية* داخل معطفه .

في تلك اللحظة خرج *جون* من المنزل وبادر سيده بالقول :

" سيدي، هل لك أن تُمسك بيدي ؟ يبدو أن المطر قد بدأ يتساقط بغزارة."

وكانت الإجابة " دعني... دعني وشاني."

كنت بعد أن عاد *جون* إلى المنزل وقفت لبضع دقائق أرقب سيدي وهو يمشي ببطء .، و كنت عندما عاد إلى المنزل قد قرعت الباب. فتحت لي زوجة *جون* وعندما قلت لها " كيف حالك *ماري؟*" قالت بدهشة:

" أهذه أنت سيدتي؟ لا أكاد أصدق عيني... كيف جئت إلى هذا المكان المنعزل وفي مثل هذا الوقت المتأخر؟"

شرحت لها ولزوجها كيف علمت بما جرى في *ثورنفيلد* . وأعلمتهما بأنني جئت لكي أرى السيد *روشستر* .

ثم طلبت من *جون* جلب أمتعتي من المكان الذي تركتها فيه.

وكان جرس قد قُرع بعد ذلك، وبذلك كانت *ماري* قد أعدت على الفور كأساً من الماء وبعض الشموع. سألتها :

" هل كان قد قرع الجرس لأجل هذا ؟"

" نعم، فهو يريد أن يكون حوله دوماً بعض الضوء رغم كونه فاقد البصر."

تبعتها إلى داخل المنزل وطلبت منها أن تعطيني كأس الماء والشموع لكي أحملهما إليه بنفسي.لكنني كنت بعد أن فتحت لي *ماري* باب الغرفة وشاهدت سيدي بدأت أرتعش مما جعل الماء الذي أحمله ينسكب، وكان قلبي يخفق بشدة بحيث بإمكاني أن أسمع دقاته. كان سيدي واقفاً إلى جانب الموقد وإلى جانبه كلبه الضخم بيلوت .

رفع الكلب رأسه عندما شاهدني ثم قفز واقترب مني بغبطة . وضعت كأس الماء على الطاولة ولمست رأسه بلطف وقلت" استلق الآن على الأرض"

وكان السيد *روشستر* قد التفت فجأة وكأنه شاهد ما جرى وقال " *ماري*، ناوليني كأس الماء."

تقدمت منه لكن بيلوت كان يلهث بشدة مما جعله يسأل ما الأمر؟"

قلت من جديد " اهدأ الآن بيلوت ."

ثم أبعد السيد روشستر كأس الماء عن شفتيه بسرعة وصاح " أهذه أنت *ماري*؟"

أجبته " لست *ماري* . ماري في المطبخ."

وضع الكأس جانباً بسرعة ومدّ يده لكنه لم يتمكن من لمسي. ثم قال:

" من أنت؟ من أنت ؟ تكلمي من جديد... أجيبيني من أنت ؟ من ؟ أنت؟"

قلت " هل ترغب بالمزيد من الماء سيدي؟ فقد انسب نصفه وأنا احمله إليك."

صاح من جديد " من أنت ؟من أنت؟"

قلت" لقد تعرّف علي كل من جون وماري وحتى بيلوت. هما يعلمان بوجودي هنا، جئت الليلة."

قال باستغراب " يا إلهي ! يبدو أنني قد أصبت بالجنون؟"

أجبته " لا سيدي ، هذا ليس بالجنون."

قال " هذا صوت أعرفه... ليس بإمكاني أن أرى لكن بإمكاني أن أتعرّف باللمس .ثم مدّ يده من جديد.

وكان عندما أخذت يده بين يديّ قد صاح :

"إنها لمسة أصابعها... نعم ، هذه لمسة أصابعها الصغيرة ... *جين*، أنت *جين إير* ."

قلت" نعم أنا *جين إير*، وها قد عدت إليك يا سيدي العزيز."

قال " لابد أنني أحلم. كنت قد حلمت بمثل هذا اللقاء عدة مرات في السابق ... كنت آمل ألا تتركيني أبداً. أخشى أن أصحو الآن من هذا الموقف وأن يزول كل شيء كما تزول الأحلام.."

ثم قال " *جين* لا تتركيني من جديد. *جين* ، علينا أن نتزوج على الفور. أعلم بأنني كنت سيئاً ، وبأنني كنت قد أخطأت كثيراً ، لكنني أرى الآن بأن الله تعالى

قد رحمني وعفا عني."

وهكذا كانت قصة حياتي قد انتهت. كنا قد تزوجنا بعد ثلاثة أيام من وصولي، وكنت بعد عودتي من عقد قراني قد كتبت لصديقتيّ ماري وديانا وأعلمتهما بتفاصيل كل ما قمت به .، ولِم تصرفت بتلك الطريقة، وكانتا قد أعلمتاني في رسالتيهما التهنئة بأنهما سوف تزوراني بعد أكون قد استقررت تماماً.

وها قد مرت الآن سنوات عشر على زواجنا، وأنا أشعر بأنه ليس هناك في كل هذا العالم من هي أسعد مني... كان زوجي لايزال فاقد البصر خلال السنتين الأوليتين من زواجنا، لكنه ذات يوم كان وهو يُملي عليّ رسالة، قد اقترب مني وسألني:

" هل هناك ما يلمع على عنقك ؟

أجبته باستغراب "نعم ، هو عقدي الذهبي الذي يلمع."

ثم قال "وهل ترتدين ثوباً أزرق اللون؟"

كنت بالفعل أرتدي ثوباً أزرق اللون . وبذلك أعلمني بأن وضع عينيه قد تحسّن، وبأنه بدأ يُميّز الألوان. ثم وكنا قد ذهبنا معاً على الفور لمراجعة أحد الأطباء في لندن حيث تلقى العناية الطبية التي أعادت إليه بصره في العين اليمنى. وبذلك لم يعد زوجي يعيش في ظلام... صحيح أن ليس بإمكانه أن يقرأ وأن يكتب كثيراً لكن أصبح بإمكانه أن يعتمد على نفسه في السير وفي الكثير من الأمور الأخرى ...

وهكذا عادت السماء زرقاء بالنسبة إليه كما أصبح بإمكانه أن يشاهد العشب الأخضر ... والأهم من هذا كله، أن قلبه كان قد تطهّر وأصبح مُفعماً بالشكر لله تعالى الذي كان رحيماً به...

السيرة الذاتية للكاتبة شارلوت برونتي:



ولدت شارلوت برونتي في العام ١٨١٦ في *ثورنتون - يوركشاير* وهي الابنة الثالثة لعائلة برونتي التي تتألف من كل من *ماريا وإليزابيث وإيملي وآن* برونتي ومن شقيقهم *باتريك براندويل* . كانت والدتهم قد توفيت بعد مرور عام واحد على انتقال العائلة للعيش في *هيثورث..* وبذلك تم إرسال الفتيات للدراسة في مدرسة في *كورن بريدج* لكن الفتاتين الأكبر سناً ماريا و إليزابيث توفيتا أيضاً في العام١٨٢٤، لذا تمت إعادة شارلوت وإيملي وآن إلى المنزل. التحقت شارلوت برونتي بعد ذلك في العام ١٩٣١ بمدرسة في *روهيد* ،لكنها تركتها في العام التالي وانصرفت لتدريس شقيقاتها في المنزل. ثم عملت بعد ذلك مربية في كل من مدرسة *روهيد* ، كما عملت لمدة مربية لدى عائلتين من العائلات الانكليزية الثرية . لكنها تركت عملها بعد ذلك وعادت إلى *هيثورث*، وقررت أن تفتتح مدرسة خاصة بها مع شقيقتها. لكن ذلك المشروع كان قد فشل وبذلك كانت قد أوفدت شقيقتها الأصغر سناً للدراسة في بروكسل كما استقرت هي أيضاً هناك حتى العام ١٨٤٤.

بدأت شارلوت برونتي الكتابة في العام ١٨٣٦ .، ومن الواضح بأنها ، في جميع مؤلفاتها من قصص ومن قصائد شعرية، قد تأثرت إلى حدّ كبير بالظروف المأساوية التي مرّت بها العائلة، كما استوحت بعض الأفكار مما حصلت عليه من خبرة خلال فترة عملها كمربية..

كان الطابع الذي اتسمت به أيضاً مؤلفات كل من شقيقها باتريك ومؤلفات شقيقتيها آن وإيملي برونتي من قصائد شعرية بعض الحزن ورقّة الإحساس ... كانت شارلوت عندما اكتشفت بعد ذلك ما لدى شقيقتها إميلي من موهبة شعرية قد عملت على نشر المجموعة الشعرية التي كتبتها بعد وفاة والدتهم تحت اسم مستعار هو *أكتون بيلس* . كما قامت بكتابة قصتها " الأستاذ" التي لم تكن قد لقيت الكثير من الشهرة ، لكنها بعد أن تم نشر قصتها "*جين إير* " قد حققت شهرتها العالمية تلك . كما حققت شقيقتها آن برونتي شهرتها بنشر قصتها التي كانت بعنوان" *أنيس غراي*"

ثم قررت شارلوت برونتي وشقيقتها آن برونتي في العام ١٨٤٨ زيارة دار النشر في مدينة لندن . ولدهشتهم اكتشفوا بأن الهوية الحقيقية *لأكتون بيلس هي اسم شقيقهم باتريك براندويل برونتي*. لكن شقيقهم كان بعد فترة قد أصبح من المدمنين على الشراب مما أدى أيضاً إلى وفاته ثم تلت ذلك وفاة كل من شقيقيها إميلي وآن وخلال عامين على التوالي

كانت شارلوت برونتي في العام ١٨٥٢ قد تزوجت من *أ.ب. نيكولاس* وهو أحد مؤلفي المسرحيات الغنائية. لكنها في العام ١٨٥٤، وهي لاتزال تنتظر ولادة طفلها الأول، أصيبت بذات الرئة مما أدى إلى وفاتها خلال بضعة أشهر بعد الكثير من المعاناة ...

السيرة الذاتية للمترجمة :



الاسم: أمل الرفاعي ابنة عمر بسيم الرفاعي
الجنسية: عربية سورية
المؤهلات العلمية:
إجازة في الحقوق- جامعة حلب
دبلوم في الإدارة - المعهد الدولي للإدارة - باريس - فرنسا
اللغات الأجنبية: اللغتين الفرنسية والانكليزية.

المؤلفات التي تم نشرها ورقيًا :

- قاموس المصطلحات القانونية والدبلوماسية عربي –انكليزي وبالعكس



- قاموس المصطلحات الإدارية والاقتصادية عربي-انكليزي وبالعكس



- قاموس مصطلحات إدارة الأعمال انجليزي - عربي



- نماذج لأصول المراسلات التجارية، عربي - انجليزي



*** ترجمات تم نشرها عن طريق دار ناشري:**



ترجمات جاهزة للنشر:

- معجم المصطلحات الدبلوماسية والسياسية
- القاموس القانوني الدبلوماسي ثلاثي اللغة ـ عربي انكليزي ـ فرنسي
- ترجمات لمجموعة من قصص الكاتب الفرنسي غي دو موباسان

المقالات:

- التأهيل الإداري وأثره في إعداد شخصية الإداري الناجح.
- تأثير محيط العمل على تقبّل عملية التطوير الإداري.
- كلمة الشكر وحسن التعامل مع الآخرين
- محكمة التاريخ
- الفساد الأخلاقي
- الطموح والقناعة
- قانون الأخلاق

قصص قصيرة:

حديث المرآة

سارة والوردة الأخيرة

تضحية أم

الشمعة – رمز العطاء والإيثار